

الرسالة

5 me Année, No. 201

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 10 - 5 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٠١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٥٦ — ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

بعد مؤتمر الامتيازات

ألآن يبدأ الاستقلال !

كان يوم السبت أول أمس آخر أيام المؤتمر ، فغابت فى أقصى الحلوق الألسنة التى كانت تجادل وتقاتل للمنفعة ، وانبسطت من القلوب ألسنة معسولة كانت تجامل وتدامل للعاطفة . وجدوى المدنية على الإنسان ، أنها خلقت له لسانا مع اللسان ، إذا جرح هذا ، لعق دم جرحه ذاك . وجملة القول فى المؤتمر أنه ألغى الامتيازات إلا ذيلا سينسحب فى ردهات المحاكم المختلطة اثنى عشر عاماً ثم ينقطع . ومصر التى كابدت رهق هذا النظام المهين فى الأعمال والأموال والأنفس ، تدرك أن هذا الاتفاق المدنى مع الدول الممتازة ، أبلغ شانا وأبعد مدى من ذلك الاتفاق العسكرى مع الدولة المحتلة ؛ فان الاحتلال الانجليزى كان محصوراً فى ثكنتين وقلعة ، يطل من نوافذها الضيقة إطلال المتقحم الغاصب ، فلا يرى إلا النظر الشزر ، ولا يسمع غير الهتاف العدو ؛ وكان وجوده الباطل تحدياً لرجولة الشعب فتيقظت فيه عواطف الوطنية والقومية والحرية ، فدافع بمواهبه حتى نضجت فيه الكفاية ، وضحى بدمائه حتى نبغت فيه البطولة . وأما الاحتلال الدولى فقد كان معتمداً على اتفاقات موروثة

ومساومات مكتوبة وامتيازات مكتسبة ، فتدخل فى كل عمل ، وتغلغل فى كل مكان ، وأخذ على الأهلين سبل العيش وموارد الرزق فتعطلت فى نفوسهم الملكات المنشئة ، وسكنت فى رءوسهم النوازى الحافزة ، ورضوا من بلادهم بالنصيب الأخس ضراعة وذلة ؛ وكان نظام الامتيازات الذى استتبع هذا التفاوت فى نظام الحياة ، إيحاء مُلحاً بأننا دون الأجنبى فى القوة والقدرة والخلق ، فخضعنا خضوع التابع ، وقنعنا قنوع المحروم ، وتأخرنا فى ميدان الاقتصاد بقدر ما تقدمنا فى ميدان السياسة . فاذا أنقذ الوفد بهذا الاتفاق كرامتنا من الذل ، وسيادتنا من العجز ، وثروتنا من الغبن ، واستقلالنا من النقص ، كنا أحرياء بأن نفخر بسمائنا التى لا تعبس ، وبأرضنا التى لا تيبس ، وبنيلنا الذى لا يُخلف

الآن يبدأ الاستقلال ؛ لأن الاستقلال الصحيح أن تقول صادقاً فى وطنك : أنا السيد ؛ وفى محكمتك : أنا القاضى ؛ وفى أرضك : أنا المستغل ؛ وفى مالك : أنا المتصرف . على أن (بدَأ) ليس معناها (تم) ؛ وتسجيل الاستقلال عمل من أعمال الحكومة ، ولكن تثبيته عبء من أعباء الشعب ؛ وإذا كان المدافع عن جهته السياسية جنود الدولة ، فان المدافع عن جهاته الأخرى شباب الأمة . هذه ميادينا الحيوية تعج بالجيوش الغريبة ، ليس لنا من بينها جندى ولا قائد ، وليس لنا من ورائها نخر ولا مغنم إنما يتنافسون ونحن الخصوم ويتقاتلون ونحن القتلى . فمن الذى يحتل هذه الميادين المغصوبة ، ويغزو هذه الجيوش الغاصبة ؟ وهذه طبقاتنا العاملة تفتك بنشاطها الفطرى جراثيم الجهل والفقر والمرض ؛ فمن الذى ينبه عقولها بالعلم ، ويشد أيديها بالمال ، ويمسح على أبدانها بالعافية ؟ الشباب هم الجواب عن هذين السؤالين وعن غيرهما من كل ما يخطر بالبال من مسائل الاستقلال ومشاكل البلد

ستقرأ فى (رسالة الشباب) من هذا العدد كلمة لشاب كريم يقترح فيها على إخوانه التجنيد المدنى لزحف اجتماعى عام يهاجم عوامل الضعف فى العلم والأدب والسياسة والاقتصاد والأخلاق والنظم ، وجعل لهذه الغزوات الأدبية خمسة أعوام تحشد فيها الجنود وتنصب القادة وتوضع الخطط وتوزع الفرق وتعين الميادين ويتم النصر . وليس أجدى ولا أجدر فى الحال التى نحن فيها من هذه الفكرة . فقد وقفنا طويلا نقنع المكابرين أننا أمة لها وجود مستقل ، ودولة لها سلطان سيد ، فجر علينا هذا الوقوف أن تخلفنا عن الأشباه تخلفا لا يسوغه مجد الماضى ولا طموح الحاضر . فسبيلنا إلى اللحاق أن نتهالك فى السير لا نتراخى ولا نتريث ، نبصر هدانا على رأى الشيوخ ، ونحمل ضعفنا على قوة الشباب ، ونستمد حوافزنا من الذكرى ، ونرسل مطامعنا مع الأمل .

هذا الاقتراح طبيعى تقتضيه الحال بعد أن فرغنا من الانجليز بمعاهدة الزعفران ، ومن الدول باتفاق مونترو ، فلم يبق ما يشغل الرءوس والأيدى إلا أمورنا الداخلية ، ومشاكلنا الاجتماعية . فكيف السبيل إلى تحقيق هذا المقترح ؟ أنكتفى بجهاد الطلاب من الشباب فى أوقات الفراغ وأيام العطلة ، يزورون المدن ويرودون القرى فيثقفون العامل ويعلمون الفلاح وينفثون من روحهم الوثابة حياة فى النفوس ، وصحة فى الجسوم ، ويقظة فى المدارك ؟ أم نؤلف فرقا دائمة من الشباب المتخرج يكون فيها المعلم والطبيب والمهندس والزراعى والواعظ ، فيسيرون بعتادهم وخيامهم (روادا) يغشون القرية بعد القرية ، يدرسون أحوالها ، ويكشفون أدواءها ، ويعالجون كل شىء بما يساعد على صلاحه ، أو يعين على نجاحه ؟ أم نعبئ جيشاً سلمياً نظامياً من المتعلمين المتعطلين نُعدهم إعداداً خاصا للدعاية والارشاد والدفاع ، ونمدهم بالكفاف من المال ، ونجعل بعضهم مع الزراع ، وبعضهم مع العمال ، وبعضهم مع الطلبة ، يروضون جسومهم على الدفاع المنظم ، ونفوسهم على الخلق الصالح ، وأيديهم على الانتاج الصحيح ؟ ثم ماذا تكون صلة هذه الفرق بالحكومة والأمة ؟ لمن القيادة ؟ على من النفقة ؟ أللحكومة ؟ أعلى الأمة ؟ أم لهما وعليهما معا ؟

ذلك اقتراح جدير بأن يقسَّم فيه الرأى ويُحكم له التدبير ؛ وقد عرضه صاحبه هناك وعرضناه نحن هنا لنستعين على تمحيصه بأقطاب الرأى ، وعلى تنفيذه بأرباب العزيمة .

احمد حسن الزيات

الذى نعمـــله

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءتنى من الأديب صاحب الامضاء رسالة يقول فى ختامها:

«... قد رأيت بما لى من حق طالب العلم على أستاذه أن أطلب إلى سيدى الأستاذ أن يتبع هذا المقال بنفحة أخرى تبين لنا ما نعمله لنبلغ من أمرنا ما نريد، وأرجو ألا يعتبر منى هذا اقتراحا أو ما فى معناه وإنما هو محض استزادة من خير علمك العميق النظيف....»

احمد حنفى نصار القوصى

***

وهذا سؤال حقيق بأن يسأل، وكنت أود أن يسال، فهو حقيق بأن يجاب

وجوابى للأديب أن حاجتنا الكبرى إنما هى أن نعلم كيف نريد لا أن نعلم كيف نعمل. فاذا أردنا عملنا؛ وكل مريد عامل وعارف بوسيلته إلى إنجاز مراده

مضى زمن والناس يتحدثون عن الارادة والعمل كأنهما قدرتان مفصولتان، وعن العاطفة والفكر كأنهما شيئان لا يتلاقيان، وعن الخيال وفهم الواقع كأنهما ملكتان نقيضتان، إلى آخر ما يفرقون ويقابلون بين ملكات الطبائع وخصائص الأذهان. وهذا خطأ فى تصوير الحقائق يتبعه لا محالة خطأ فى تصوير العلاج والاصلاح

ليست الارادة والعمل ولا غيرهما من الملكات والطبائع خطين متلا حقين يبدأ أحدهما عند نهاية الآخر، أو جسمين متحيزين لا يجتمعان فى مكان واحد، وإنما هما مظهران من قوة النفس يصدران عن معين لا يتجزأ ولا ينفصل بالحدود والمعالم. فاذا امتلأت النفس بالقدرة على الارادة فقد امتلأت بالقدرة على العمل فى وقت واحد وفى صورة واحدة؛ ولن يفشل الفاشل فى عمله - وقد تهيأت للعمل أسبابه - إلا لأنه ناقص الارادة

أرأيت إلى الناس وهم يطلبون السيادة ولا يبلغها منهم إلا قليل؟ ما بال قوم منهم يبلغونها وأقوام ينكلون عنها خاسئين؟

إنما يبلغها من بلغ لأنه أرادها ولم يرد غيرها. فهو سيد وإن تراخى الزمن دون الاقرار له بالسيادة؛ وهو سيد لأنه لن يكون عبداً وإن أخطأته الذرائع إلى حين

أما الذى يبغى أن يسود ولا يأبى أن يكون عبدا فأين هو من إرادة السيادة؟

وأما الذى يبغى أن يسود ولا يختلف عنده مقام السيد الرفيع ومقام العبد الذليل فأين هو من إرادة السيادة؟

وأما الذى يبغى أن يسود ويحسب أن الناس يسودونه قبل أن يسود عليهم فأين هو من إرادة السيادة؟

قل إنه يتمنى أن يسود، أو قل إنه يحلم بأن يسود، أو قل إنه لا يكره أن يسود؛ فأما أنه يريد فمعاذ الارادة أن تجتمع ونقيضها فى عزيمة واحدة؛ ومعاذ الارادة أن تجتمع ولا يتبعها عمل ولا يتبع العمل نجاح.

لماذا لا نعمل؟ لأننا لا نريد؛ ولماذا لا نريد؟ لأن زادنا من الحس والوعى والخيال قليل

ومع هذا نحن لا نُزهى بشىء كما نزهى بفرط الحس وفرط الوعى وفرط الخيال.. فهل رأيت إلى بعد ما بين الحقيقة والدعوى، وبعد ما بين وصف الداء ووصف العلاج؟!

املأ النفس بالحس والوعى والخيال تملأها بالحركة والارادة غير منفصلين. وانظر إلى الطفل الدارج لماذا لا يهدأ؟ ألأنه قرأ الفصول والمباحث فى فضل الحركة والنشاط؟ ألأن أحداً أمره أو أحداً أغراه؟ كلا! ولكنه يتحرك وينشط لأنه شبعان من الحس شبعان من ارادة العمل الذى يهواه. ولو سبب غير ذلك دعاه إلى الحركة والنشاط لما استجاب.

إذا أحسسنا لم نصبر على الركود، وإذا نفضنا الركود فماذا أمامنا غير الحركة والعمل؟ وماذا أمامنا غير الظفر والفلاح؟

لننس كل النسيان وأشد النسيان أننا - معاشر الشرقيين

قوم مصابون بفرط الحس والوعى والخيال . فاننا لأبرأ الناس من هذا المصاب إن كان مصاباً . وإننا لأحوج الناس إلى هذا الشفاء ، وهو شفاء

وآية ذلك أن نسأل كم عدد المعبرين عن الحس والخيال فى الشرق كله ؟ وكم عدد هؤلاء فى أمة واحدة من أمم الدنيا المريدة العاملة ؟

كم فى أمة واحدة من أمم الدنيا المريدة العاملة السيدة الأيدة من مصورين ومثالين ؟ وكم فيها من موسيقيين ومنشدين ؟ وكم فيها من ممثلين ومخرجين وكتاب روايات وشعراء وأدباء ؟ وكم فيها من متاحف وتماثيل ؟ وكم فيها من باعة أزهار وأساتذة تجميل ؟ وكم فيها من مغامرين مقاديم يبيعون الواقع بالخيال ، ويستغنون عن الممكن الميسور بما يلوح للعاجزين كأنه محال؟

كم من هؤلاء فى أمة واحدة وكم منهم فى الشرق كله هذا الزمان وأخشى أن أقول فى جميع الأزمان ؟

إن لم تكن الحقيقة أن الشرق مسكين غاية المسكنة مدقع غاية الادقاع فى ازواد الحس والخيال ، فالأسطورة الكبرى ولا ريب هى أنه مسرف فى حسه وخياله ، مفرط فى شطحاته وآماله .

فما بالنا نحار كيف نعمل ، وأولى بنا أن نحار كيف نحس ونتخيل ؟ وما بالنا ننشد أسباباً للحركة والعمل غير أن نملأ نفوسنا بالاحساس كأنما هذا وحده غير كاف ؟ وكأنما نحتاج بعد الاحساس إلى مزيد ؟

إن الانسان ليثور من السخط والغضب حين ينظر إلى قرائنا العجزة المعدمين وهم يتيهون من الغنى الموهوم ، ويتغطرسون بالثراء المعدوم . واسمعهم يتغنون بالحب مثلا والحب فيض فى الشعور واتساع فى آفاق الوجدان ؛ واسمعهم يتغنون به وهو صنوف صنوف صنوف لا تنحصر فى معنى واحد ولا فى نمط فريد : حب الناشئين غير حب الكهول ، وحب التفاهم والتعاطف غير حب المتع والشهوات ، وحب المرأة المطواع اللعوب غير حب المرأة العصية الشموس ، وحب المنكوب اللاجىء إلى حرم العاطفة غير حب السعيد الناعم بما فى يديه ، وحب الواثق غير حب المرتاب ، وحب الوسيمة القسيمة غير حب الرشيقة الظريفة ، وحبك الأول غير حبك بعد تجربة ومراس ، وصنوف غير ذلك تتعدد بعداد الرجال والنساء وعداد الأحيان والأعمار والمناسبات .

اسمعهم يتغنون بهذه العاطفة الشاملة الداوية العميقة الرحيبة التى لا عداد لها بالألوان وإن عدت باللفظ فى كلمة واحدة ، وقل لى ماذا تسمع غير نغمة واحدة معروضة فى شتى أساليب ؟ ماذا تسمع غير أن حبيبة هاجرة أبدا وحبيبا سيموت أبدا وفوق ذلك قطرات هنا من دموع وشهقات هناك من أنين ؟

ودع هذا واسمع المنشد أو المنشدة لا يكادان يفرغان من نغمة مبدوءة حتى يتبعهما ضجيج وزعيق وقرع وخبط وتصفيق كله نشوز واختلاط ومنافاة أبعد المنافاة لسماع الألحان والأنغام . وقل لى : هل تصدق أن هؤلاء السامعين يستمعون إلى موسيقى ويصغون إلى فن وينعمون بتعبير جميل وتنسيق لا يطيق الاختلال ؟

فأما الموسيقى والنشوز والخبط والزعيق فحال أن يجتمع هواها فى أذن واحدة فى لحظة واحدة ؛ وأما الذى يجتمع مع النشوز والخبط والزعيق فهو تخبط الجسد المحموم بحمى البهيمية لا تمييز فيه ولا ذوق ولا خيال

علم الله ما أصغيت إلى جمع من هؤلاء الناعقين الناهقين ولا توسمت ما يزهون به من « حساسة » وظرافة إلا تلمست فى يدى موضع السوط ألهب به تلك « الحساسة » وأطير به تلك « الظرافة » وأثبت لهم بالسوط وحده ـ ولا اثبات بغيره لأمثال هؤلاء ـ أنهم بلداء بلداء بلداء ، وأنهم يغثون النفوس من فرط كونهم بلداء غارقين فى بلادة لا تفيق

* * *

لا يا أساة الشرق الحزين والمشفقين عليه !

داووه من نقص الاحساس لا من فرط الاحساس ؛ وداووه من ضنانة الخيال لا من سرف الخيال

وعلموه أن يحس تعلموه أن يريد ؛ ومتى تعلم أن يريد فلا حاجة به وراء ذلك إلى تعليم

جلسة عائلية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« عمى . ! »

فلم أجب ، ولم ألتفت ، فكأن النداء كان لغيرى ، ومضيت فى كلامى مع صاحبتى ، وكان الهواء طول النهار راكداً ، والحر شديداً ، ثم بدأ الجو يطيب ، والجلسة تحسن ، فى هذه الصحراء النائية التى لم يكن يخطر لى أن يهجم على أحد فيها من أهلى .

« عمى . . . »

فأبيت أن أشعر أن النداء لى ؛ فقالت صاحبتى : « ألا تسمع ؟ »

ولم يكن ثم شك فى أني أنا العم المقصود ، فقلت : « سامع ، وفاهم . . . »

« عمى . أنت هنا ؟ من الصبح أناديك »

فوقفت — فما بقى من هذا بد — والتفت إلى الصغيرة التى بح صوتها وقلت : « هل سمعتك تنادين عمك ؟ »

قالت : « طبعاً . . لى نصف ساعة وأنا أفعل ذلك »

قلت : « هل تريدين منى أن أبحث لك عنه ؟ . . أناديه معك ؟ ان صوتى مع الأسف خافت . خفيض جدا . . . لا يذهب إلى أكثر من متر . يصلح للهمس فقط . فى الأذن »

فضحكت الصغيرة وقالت : « ماذا تقول ياعمى ؟ لماذا تتكلم هكذا ؟ »

قلت : « عمك ؟ أنا ؟ أنا عمك ؟ » .

قالت : « بالطبع . . ألا أعرف عمى ؟ » وضحكت .

قلت : « واثقة ؟ » .

قالت وهى لا تزال تضحك وقد راقها كلامى : « جدا » .

قلت : « ولا شك عندك » ؟

قالت : « أبدا » .

قلت : « ولا رغبة فى الشك ؟ »

قالت : « كلا » .

قلت : « يعنى أن لى أخاً أنت بنته فانا عمك ؟ »

قالت : « آه » .

قلت : « بهذه السهولة ؟ بلا تردد أو مناقشة أو بحث ؟ . وا أسفاه ! . ألحق أن روح البحث العلمى ينقص الجيل الجديد »

قالت : « ماذا تعنى ؟ »

قلت : « يابنت أخى — أظن أنه لا شك عندك فى هذا — إن الذى أعنيه هو أن المسألة تحتاج إلى تمحيص قليل ، وأن التسليم بهذه السهولة ليس من أخلاق العلماء . تفضلى واجلسى فان الجلوس أعون على البحث السديد » .

فجلست وطلبت لها شيئاً من عصير البرتقال ، فهو خير ما يشرب فى هذا المكان وفى مثل ذلك الجو وعرفتها بصاحبتى ثم قلت لها :

« نعود الآن إلى عمك »

فقالت : « ماله ؟ »

قلت : « لا شىء به . كان الله فى عونه . هل تعرفين ابن الرومى ؟ »

فابتسمت صاحبتى وقالت الصغيرة « ابن ال ؟ ابن إيه ؟ »

قلت : « مسكين ابن الرومى ! . ألم تسمعى به قط ؟ »

قالت : « لا . . أبداً . . أين هذا ؟ »

قلت : « مات من زمان » .

قالت : « وكيف أعرفه وقد مات من زمان ؟ »

ولقد يسأل السائل من جديد : ومن لنا أن تثبت فيه الحس المأمول ؟ وجواب ذلك سهل فى التعبير ، ولا أزعم أنه سهل فى الانجاز والتحقيق

جواب ذلك ان الحس لا يخلق خلقاً ولكنه يتعهد بالحث والايقاظ إن أصابه جمود ورانت عليه ثقلة الكسل والجثوم

وليس أنجع فى الحث والايقاظ من تصحيح الأجسام وتصحيح الأذواق : تصحيح الأجسام بالرياضة الصالحة القوية ، وتصحيح الأذواق بالفنون الجميلة الرفيعة ؛ ومن صح جسده وحسن ذوقه فلن يفوته الشعور بما حوله ؛ ومن شعر بما حوله فماذا يبقى له إلا أن ينشط ويعمل ، وإلا أن يريد وينجز ما يريد ؟

عباس محمود العقاد

قلت : « صدقت . الذى يموت لا يعرفه أحد . يكون ذنبه على جنبه . خازوق ! »

قالت : « ما هو ؟ »

قلت : « ان يموت . . أ . . أ . . إن ابن الرومى مات »

وقالت صاحبتى : « دع الموت والموتى بالله . حسبك الأحياء فاركبهم بما شئت من هزلك »

وقالت الصغيرة : « من هو ابن الرومى ياعمى ؟ . إني أراك تعطف عليه »

قلت : « صحيح . . مسكين . . ابن الرومى هذا ياستى كان رجلا له لحية . . كان ينبغى أن يظل وجهه أمرد ، أملس ناعما فقد كان جميلا فى صباه ، ولكنه كان مع الأسف رجلا ، والرجال مصابون باللحى . . آه لو كانت اللحى تنبت للنساء ! ولكن الله أعفاكن من هـذا البلاء . . ومن حسن حظ ابن الرومى - أو من سوء حظه ، لا أدرى - أن الناس فى زمانه كانوا لا يحلقون لحاهم كل يوم كما نفعل نحن تقليداً لكن يابنات حواء . . غريب ! ينفر الرجال من مظاهر الرجولة ويدأبون على محوها كل يوم ! . . . ولا نرى المرأة تحاول أن تكون لها لحية كالرجل ! . . لاتخافا فلست أنوى أن ألقى محاضرة عليكما ، ولكنه يخطر لى الآن أن من غير المقبول من الرجل أن يتجمّل ويحاكى المرأة ويحاول منافستها فى مزيتها فهل هذا ياترى تخنث منه ؟ أم هو من الرغبة فى أن يتسلح للنضال بكل سلاح ؟ . . ماعلينا ! . . فلنرجع إلى ابن الرومى ؛ كان هذا ياستى ذا لحية خفيفة قليلة الشعرات ، ولكنها لحية على كل حال ؛ وكان يأسف لأن « السيفتى ريزور » — آلة الحلاقة الحديثة — لم تكن قد اخترعت فى زمانه . . »

فقالت الصغيرة محتجة : « ياعمى ماهذا الكلام ؟ . . كيف يمكن أن يأسف على شىء لم يكن يعرف أنه سيكون ؟ »

قلت : « والله ذكية ياملعونة ! . . نهايته . . الحق معك . . فهل الأصح أن أقول إنه لم يكن يأسف على عدم اختراع السيفتى ريزور ؟ . . سيان ؟ . . هيه ؟ . وكان ياستى يخاف من البرد جداً ، فكان إذا دخل الحمام - أعنى إذا أراد أن يستحم - يوقد فيه النار ليضمن لنفسه الدفء حين يكون فيه ويملأ الطشت بالماء الساخن ، ويعد الليف والصابون النابلسى الجيد - أم ترى هذا لم يكن معروفاً ؟ . . لا بأس - ويطلق البخور ثم يدخل متوكلا على الله ، متوسلا إليه تعالى أن يحرسه فى الحمام ، وأن يخرجه منه بخير وسلام . . »

فقالت الصغيرة : « أكان يخاف إلى هذا الحد ؟ . . لماذا ؟ مم كان يخاف ؟ »

قلت : « أوه ، لا أدرى ! . يظهر أن كلباً كلباً - مسعوراً - عضه فى طفولته ولم يشف قط ، أو لم يشف تماماً . . كووه بالنار أو لا أدرى ماذا فعلوا به . . ولكنه لم يشف »

فقاطعتنى سائلة : « صحيح ياعمى ؟ . . مسكين ! »

قلت : « لا أدرى . . هذا تخمين . . وإلا فلماذا كان يخاف من الماء كل هذا الخوف حتى ليقول :

وأيسرُ إشفاقى من الماء أننى أمرُّ به فى الكوز مر المجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنيه على نفس راكب ؟

فقالت صاحبتى : « ياشيخ حرام عليك ! . . اتق الله ! . . لا تصدقيه »

فتلفتت الصغيرة منها إلىّ ، ثم قالت بعـد تردد : « هل كان شاعراً ؟ »

قلت : « لا . . لم يكن شاعراً . . وإنما كان يغنى فى الحمام فيخرج الكلام موزوناً وهو لا يدرى . . ولكن الناس لا يتركون أحداً مرتاحاً . . ويظهر أن بعضهم كان يسترق السمع وراء باب الحمام ، ويقيد كل مايسمعه من ابن الرومى وهو يغنى نفسه ويتسلى فى الحمام . ثم جمع كل ماسمعه ، ودفعه إلى الناس وقال هذا شعر ابن الرومى . . الناس ملاعين . . أشقياء . . لا يدعون أحداً مرتاحاً . . الرجل كان يسلى نفسه فى الحمام فمالهم هم ؟ . . إيه ! . . هكذا الناس يحشرون أنفسهم فيما لا يعنيهم . . فضول ورزالة . . نهايته . . وكان مما يغنى به وهو ينظر فى المرآة إلى لحيته ، ويمشط شعراتها القليلة ويفتل أطرافها لتكون كالقلم الرصاص المبرى هذا البيت :

أصبحت شيخا له سَمْتٌ وأبهة
يدعوننى الغيد عما - تارة - وأبا

كان يتحسر على شبابه ، ويأسف لأنه صار ذا لحية . .
ويظهر أن الغيد الحسان من أمثالكن يغلطن فتارة يقلن له ياعمي ، وطوراً يقلن له يا أبي . . غريب ألا يعرفن أهو أب لهن أم عم ؟ . . ولكنك أنت لاتغلطين . . أنا عمك فقط . . متأكدة أني لست أباك أحياناً ؟ »

فقالت صاحبتي : « أعوذ بالله منك ! »

وقالت الصغيرة : « متأكدة جداً . . عمي بالطبع . كيف يمكن أن تكون أبي ؟ »

قلت : « معقول ألا تغلطي . . لسببين : الأول أني لا أرسل لحيتي كما كان ابن الرومي مضطراً أن يفعل لأن الله خلق السيفتي ريزور في زماني والحمد له ، أعني لله ، بالطبع ، لا للموسى ؛ والثاني أن أباك المحترم مقبل علينا يتهادى في مشيته . . أحسبه يفخر بأن له بنتاً مثلك . . له الحق ! »

وجاء الأخ الفاضل وقمت بواجب التعريف الذي لا مهرب منه ، واتضح لي — بعد أن تجشمت عناء القيام بهذا الواجب انه كان يسعني أن أريح نفسي ، فقد سبق لأخي أن عرف صاحبتي في بيتنا .

وجلسوا . وجلست وأنا أتنهد وأنظر إلى صاحبتي وأقول :
« معذرة . ليس هذا ذنبي . وأنت ذكية ، وتستطيعين أن تدركي بسهولة أنه لا مهرب من الأهل . لقد جئنا إلى آخر الدنيا من ناحية الشرق ، ولو أنصف الزمان لذهب أخي الفاضل إلى آخر الدنيا من ناحية الغرب مثلا ، أو الجنوب أو الشمال ؛ ثلاث جهات كان يمكنه أن يذهب اليها ، ولكن جاذبية الدم تصرفه عن الجهات الثلاث وتدفعه إلى هذه الجهة فيدركنا ويملأ علينا الدنيا ، ويشعرنا بأنها في الحقيقة أصغر مما كنا نظنها . ويؤنسنا طبعاً . أظن أن في وسعنا أن نغتفر له هذا من أجل بنته ، من أجل عينيها اللتين وقعتا على بسرعة البرق ، نصفح عن أبيها ونرحب به . تعال ياجرسون والأمر لله . وحسبي الله »

إبراهيم عبد القادر المازني

في تبويب الكتب

للدكتور محمد عوض محمد

لقد تجري في حياتنا الأدبية الهادئة حادثات ونوادر طريفة تستحق أن تُسجَّلَ وتُثْبَتَ ؛ ومن ذلك هذه الرسالة التي كتبها صديقنا الأديب إسماعيل بن زيد إلى صديقه الفاضل الأستاذ طه حسين ، مُستفتِياً ومداعباً

وصاحبنا إسماعيل يزعم أنه قد تكدّست لديه المؤلفات القيمة ، ولكنه لايعرف كيف يقسم كتبه إلى أبواب وفصول ، ولذلك لم يستطع نشر شيء من مؤلفاته إلى اليوم . وهو يزعم في هذا أن عناء التأليف والتصنيف ليس بشيء يذكر إلى جانب عناء التبويب والتفصيل .

فلم يكد يطالع في كتاب للأستاذ حسن إبراهيم حسن قطعةً يصف فيها الأستاذ طه حسين بأنه « لا يشق له غُبار في تبويب الكتب » ، حتى تناول قلمه الرشيق ، وأرسل اليه هذا الكتاب ، الذي عثرنا عليه بمحض الصدفة ، والذي نثبته هاهنا بنصه وفصه :

استفتاء

إلى العميد العظيم طه بن حسين !
نَعِمَ صباحُكَ أيها العميد !

وبعد فاني أريد أن أستفتيَكَ في أمر شهد لك فيه صديقنا حسن إبراهيم حسن بالتقدم والبراعة ، حيث قال في غير موضع من رسائله الممتعة إنك لايشق لك غبار في تبويب الكتب

ولديَّ أيها العميد العزيز رسائل عديدة في موضوعات جليلة ، حرت في أمري وفي أمرها : كيف أجعل لها أبواباً ونوافذ وشبابيك . . . وهي رسائل – وحقك – ذات خطر عظيم وشأن جليل ؛ أريد أن أتقدم بها إلى بعض معاهد العلم لكي أحصل بها على ألقاب فخمة ، وأسماء ضخمة . .

وما خيرُ حياة ، يعيش صاحبها من غير ألقاب ولا أسماء؟
ولقد حدثني من أثق بشهادته أن الألقاب أعظم شيء في الحياة ، وأنه أفضل لابن آدم أن يكون له لقب ، من أن يكون له أدب .

وأن يكون له اسم ، من أن يكون له جسم . والألقاب مثلها كمثل الأثواب تستر الهنات ، وتكسب الفخامة والجلال .

ألا ترى أن الكرُنب وهو نبت قليل الخطر ، حقير الجوهر ، قد سما على سائر النبات ، وشمخ بأنفه ، ومال بأعطافه ؛ وليس له من فضيلة يُدِل بها سوى أنه يتألف من ثياب بعضها فوق بعض ، فاذا نزعت عنه ثيابه لم تجده شيئاً .

ومثل هذا يقال فى الخس والجرجير، وهما الغذاء الأساسى لكبار الكتاب والشعراء . . . (١)

صدقنى ، أيها العميد ! إن الثياب والألقاب هى كل شىء فى الحياة .

* * *

والآن لا بدلك - إن كنت ترعى للمودة حرمة ، وتستجيب لداعى الإخاء والصداقة - أن تُفتينى كيف أرتب الأبواب لهذه الأسفار التى أريد أن أتقدم بها إلى رجال العلم ، إن كنت حقاً لا يشق لك غبار فى تبويب الرسائل والأسفار .

فأما الرسالة الأولى فهى « فى صيد الضفادع : كيف يكون ومتى يكون » فقد حرت كيف أبوب هذه الرسالة . هل يكون الباب الأول منها فى الضفادع أم فى الصيد . . وقد تراءى لى أن أتحدث عن هذه الكائنات العزيزة ؟ هل هى من حيوان البر أم من حيوان الماء ؟ وهل نقيقها خارج من الحنجرة والبلعوم أم من الحلق والخياشيم ؟ وهل هى أسرع حين تسبح فى الماء ، أو حين تثب على أديم الغبراء ؟ وهل غذاؤها الطحلب الحامض أم الحلو ؟ والعشب اليابس أم الطرى ؟ وهل أرجلها أطيب فى المأكل أم أيديها ؟ وهل يُمَهِّدُ لصيدها بأناشيد وأغان غربيّة على طريقة شوبرت ، أم بأناشيد شرقية مثل نغمات معبد فى الثقيل الأول على مدار البنصر؟ وهل تستطيع ضفدعة أن تسبح فى الماء إذا استلقت على ظهرها من شدة الضحك مثلا؟ فان كانت عاجزة عن السباحة وهى فى هذه الحال . جاز لنا أن نفكر جدياً فى صيدها وهى تضحك حين تتلو عليها رسالة للجاحظ ، أو قطعة لموليير .

كذلك يجب أن تفهمنى فى أى باب أضع ما كان بين الضفادع ومسيلمة الكذاب ، وهل انخدعت بأكاذيبه كما ينخدع الناس بأحاديث الكذابين فى كل مكان وزمن . ومتى كانت الضفادع ممن يؤخذ بالأكاذيب ؟ فهل يجوز استخدام هذه الحيلة فى صيدهن والاستيلاء عليهن ؛ أم تلك خدعة لا تليق بالصياد الشريف والباحث العفيف ؟

فهلم يا مُبَوِّبَ الكتب ! ضع أبوابا ونوافذ ودهاليز لهذه الرسالة ولا تبطىء على فانى مستعجل .

* * *

أما الرسالة الثانية فموضوعها « تعليم الجراد مبادىء الفلسفة » فقد أنبأنا عالم فاضل أن هذه خير وسيلة لتحويل الجراد عن حياة النهب والسلب ، إلى حياة الشرف والاستقامة . . وتحول عقبات كثيرة دون تثقيف الجراد بهذه الثقافة الفلسفية المنشودة ، ذلك أن الجراد لا يستقر لحظة فى مكان ، فلا تكاد تتحدث اليه عن أفلاطون وتأخذ فى شرح القواعد التى تقوم عليها جمهوريته ، حتى تستهويه سنبلةُ قمح أو كوز من الذرة ، فيتركك فى فلسفتك العلوية وينطلق إلى عالمه السفلى . ولقد تظن أنه سيقف على كوز الذرة زمناً طويلا يمكّنك من أن تشرح له كتاب الأخلاق لأرسطو ، لكنك لا تكاد تفرغ من الفقرة الاولى من الفصل الأول حتى يكون المجرم قد سئم الكوز الأول ، ووثب يلتمس كوزا سواه .

غير أن العالِم الجرادى الألمانى ميلرقام بعدة تجارب تدل على أن فى الجراد ميلا إلى فلسفة ما كيافلى ونيتشه ، ولا بد من أن نفرد باباً خاصاً لتحقيق هذا الأمر .

وهنالك عقبة أخرى تجعل من الصعب إدخال الفلسفة فى رأس الجراد ، ذلك أنى قد كشفت فى ساعة من ساعات الالهام أن الجراد لا يفهم بعقله ، بل بفمه وبطنه . فهل الفلسفة من المواد التى يمكن استيعابها عن طريق البطن والمعدة ؟ هذا أيضا باب مهم أرجو أن تفتينى فى أى جزء من الكتاب أجعله ، وأى الأقسام تليق به ويليق بها ، ولا بد كذلك من بحث عميق فى عادة النهب والسلب عند الجراد : هل ترجع إلى البيئة ، أو ترجع إلى الوراثة والغريزة ؟ فان كانت أصيلة فى فى النفس ، مغروسة فى الطبع ، فبأى الوسائل نحتال إلى إدخال الفلسفة فى نفوس طبعت على الانتهاب والاختطاف ؟

هلم أيها العميد وشمر عن ساعد التبويب ، ولا تدعنى فى حيرتى طويلا !

* * *

(١) يشير هنا الى كتاب السدود والقيود للاستاذ العقاد

أما الرسالة الثالثة فهى : « فى استخراج أشعة الشمس من قشر الخيار » . وهذا موضوع قد أشار اليه الأستاذ (سويفت) ولكنه قصر فى متابعته واستقصائه . وفى نظرى قد آن لهذا الموضوع أن يقتل بحثا وتمحيصا ، حتى لو استنفدنا فى سبيل ذلك كل مافى الأرض من خيارٍ وقِثّاء .

إن أشعة الشمس ضرورية للانسان والحيوان على السواء ؛ فقد حدثنا من نثق بعلمه أن القليل منها اذا أخذ فى فنجال على الريق كل صباح يشفى من الأمراض ، ويحدث فى البليد ذكاء وفى الغبيّ فَهْما ؛ وناهيك بما فى هذا من فائدة فى زمان ضعفت فيه الأحلام ، وصغرت فيه الأفهام . ولئن اعترض معترض بأن هذا الموضوع لا يهمنا لأن بلادنا غنية بأشعتها ، فليس فى هذا وجاهة ؛ لأن الباحث لا يختص ببحثه أرضا ولا بلداً ؛ وفى العالم أقطار كثيرة قد حرمت هذه النعمة ، ولا بد من تزويدها بأشعة مستخرجة من قشر الخيار ، ومع هذا فان هنالك شكا كبيراً فى أن الأشعة التى تتأثر بها وتتعرض لها هاهنا ، هي من ذلك النوع الخيارى الممتاز ، وإلا لما انتشرت البلادة فى وادى النيل السعيد كل هذا الانتشار . فلقد بات من الثابت المعلوم أن للخيار مقدرة فذة يمتاز بها على سائر الكائنات فى استخلاص الأشعة النقية — فوق البنفسجية وتحتها — وتثبيتها فى ثنايا قشوره

هذا بحث طويل عريض عميق أرجو أن تسلط عليه غبارك الذى لا يشق ، من أجل تبويبه وتفصيله وترتيبه .

***

بقى البحث الرابع الذى أرجو أن يكون شهياً مُمتعا ، وهو « فى أثر الموسيقى فى طول الأنف وعرضه وارتفاعه » فقد تعلم غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر أن الأنف أشرف الأعضاء وأمثلها ، وأن العرب كانت لا تجد مدحا أسمى ولا شرفا أعلى من أن يكون الرجل أشمّ العِرنين ، ولم تنحط الزّنج عن سائر الشعوب والأجيال ، ولم يستعبدهم الناس استعبادا إلا لما فى أنفهم من الفطَس . والذين زعموا أن فطس الأنف عند الزنج راجع إلى بيئتهم لم يأتوا بشىء ؛ والصحيح عندنا أن هذا راجع إلى موسيقاهم وغنائهم المنحرف كما وصفه ابن خلدون . ودليلنا فى هذا محسوس وملموس ، ذلك أن الشعوب المتمدنة من أهل أوربا وأمريكا ، منذ اتخذوا موسيقى الزنج للهوهم ورقصهم قد استعرضت أنوفهم ، واستولى عليها الفطس ، كأنما القوم يجلسون على أنوفهم إذا جلسوا لا على مقاعدهم . وقد قام بعض الباحثين المحققين بقياس سعة الأنف وارتفاعه ، فبدا له انخفاض محسوس فى الأنوف اليوم ، بالنسبة لما كانت عليه فى أواخر القرن الماضى وخرج من هذا البحث إلى نظريته المعروفة بأن العالم سائر كله إلى الفَطَس ، وأن الكبرياء والشمم محكوم عليهما بالفناء . وهو يزعم فى هذا كله أنه راجع إلى كثرة البُقع فى وجه الشمس ؛ وهو فى تعليله هذا جدُّ واهم ، والصواب ماذكرناه من أن هذه الظاهرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار موسيقى الزنج والاقبال الشديد عليها .

كذلك أخطأ نهج الصواب ولم يوفق فى بحثه ذلك العالم الذى أرجع هذه الظاهرة إلى انتشار عادة الحكّ على المناخير التى كانت سائدة أيام الحرب الكبرى وما بعدها ، فقد ثبت انتشار هذه العادة فى أزمنة أخرى مثل عصر نابليون ، فلم يكن لها فى المناخير تأثير يذكر .

والراجح ماذكرناه من اتصال هـذا بالموسيقى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

والبحث فى هذا الموضوع متشعب الفروع والغصون ، متعدد المخارج والمداخل ، وأريد منك أن تبوّبه تبويباً يلمُّ شعثه ، ويجمع بين شوارده ونوافره ؛ ويجب أن يكون تبويباً مَرِناً نستطيع أن ندخل فيه أية دراسة أنفية جديدة قد تبدو لنا فى أثناء التأليف والتصنيف

***

هذا بعض مالدينا من الرسائل التى نرغب منك أن تساعدنا فى تبويبها . فهلم أيها العميد ، واجلس فى كرسيك المعهود ، ممسكا فى يمينك سُبْحتك التى تستعين بها على التسبيح ، وربما كانت لك فيها مآرب أخرى — وممسكا فى يسارك سيجارة تبعث الوحى وتفتح أبواب التبويب .

فان فعلت أسديت إلى البحث العلمى يدا يعمل بها ورجلا يمشى عليها . هداك الله إلى محجة الصواب ، وإليه المرجع والمآب

اخوك المخلص : اسماعيل بن زيد

طبق الأصل محمد عوض محمد

في التاريخ السياسي

الدبلوماسية الأوربية

في طورها الجديد

بقلم باحث دبلوماسي كبير

اجتازت الدبلوماسية الأوربية منذ نهاية الحرب الكبرى ثلاث مراحل: الأولى مرحلة التصفية وهي التي شغلت فيها الأمم الظافرة والمهزومة معا بتصفية التركة الفادحة التي خلفتها الحرب، واحتملت الدول المهزومة معظم تبعاتها وأعبائها. والثانية يمكن تسميتها بمرحلة عصبة الأمم ولوكارنو، وهي المرحلة التي اشتد فيها ساعد العصبة بمؤازرة الدول الظافرة وانضمام ألمانيا المهزومة إليها لأول مرة بعد أن قامت بتأدية معظم الاعباء والمغارم التي فرضت في معاهدة الصلح؛ وفي أثنائها أيضا تقدمت فكرة السلامة المشتركة تقدما عظيما، فعقد ميثاق لوكارنو لتأمين سلامة حدود الرين بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا، وعقد مؤتمر نزع السلاح واستمر حينا يباشر أعماله، وعقد ميثاق تحريم الحرب الذي اقترحته امريكا على دول العالم، وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٩٣٢. والمرحلة الثالثة، مرحلة السياسة القومية العنيفة، وعود الدبلوماسية الاوربية إلى أساليبها القديمة من عقد المحالفات والمواثيق العسكرية الظاهرة والخفية، وتكوين الجبهات الخصيمة، والتسابق في التسليح، وهذه هي المرحلة التي تجتازها أوربا اليوم.

ولا شك أن هذه المرحلة هي أخطر وأدق مرحلة انتهت اليها الدبلوماسية الاوربية مذ عقدت معاهدة الصلح (معاهدة فرساي) ولا شك أيضا أنها تسير بأوربا إلى موطن الفصل

وتنقسم أوربا اليوم إلى معسكرين واضحين هما معسكر الدول الفاشستية التي تتخذ شعارها القومية المتطرفة والعسكرية المتوثبة والتسليح الشامل، وقوام هذه الكتلة ايطاليا الفاشستية وألمانيا النازية. ومعسكر الدول الديمقراطية إذا صح التعبير، وشعارها السلام المسلح، والاستعداد لدفع الاعتداء الذي قد يقع عليها من الدول الفاشستية، وقوام هذه الكتلة انكلترا وفرنسا توازرهما روسيا السوفيتية.

وهذا التطور الحاسم في سير الدبلوماسية الاوربية، وتحولها من ميدان التعاون السلمي الذي عملت فيه من قبل إلى ميدان التنابذ والخصومة المسلحة يرجع قبل كل شيء إلى عنف الفاشستية الايطالية والالمانية وإلى شهواتها وأطماعها المغرقة وإلى اعتدادها بالقوة المادية الغاشمة؛ بيد أن الفاشستية تلقي التبعة في ذلك على الدول الديمقراطية وعلى ما أبدته من الأثرة في استخلاص المغانم الاستعمارية والاقتصادية لنفسها دون ايطاليا والمانيا، ودفعهما بهذا التصرف إلى خطة العنف واليأس التي تلجآن اليها

وتستقبل الدبلوماسية الاوربية عهدها الجديد بسلسلة من الاحداث والظواهر الجديدة؛ أولها وأهمها انهيار ميثاق لوكارنو نهائياً، بعد أن نقضته ألمانيا من جانبها في العام الماضي؛ وانحلال التحالف الصغير في شرق أوربا بعقد الميثاق الايطالي اليوجوسلافي؛ وتوثق العلائق بين السياستين الفرنسية والبريطانية؛ وفتور العلائق بين تركيا وروسيا السوفيتية، وتقدمها في الوقت نفسه بين تركيا وايطاليا وتقوية الجبهة الايطالية الألمانية واشتداد ضغطها في وسط أوربا وفي شرقها

وقد كان عقد الميثاق الفرنسي الروسي في أوائل العام الماضي أول نذير بانهيار الأوضاع القائمة، ففي ٧ مارس سنة ١٩٣٦، أعلنت ألمانيا نقضها لآخر الشروط العسكرية التي فرضت عليها في معاهدة الصلح وهي الخاصة بتجريد منطقة الرين من التسليحات والتحصينات، وأعلنت في نفس الوقت نقضها لميثاق لوكارنو، بحجة أن الميثاق الفرنسي الروسي قد عقد بقصد تهديدها وتطويقها وأن عقده مخالف لما كفلته نصوص ميثاق لوكارنو من سلامة الحدود الألمانية الفرنسية على الرين؛ وكان تصرف ألمانيا ضربة قاضية لهذا الميثاق الذي علقت عليه أوربا والعالم كله يوم عقده أعظم الآمال، ولم تلبث بلجيكا وهي إحدى الدول الموقعة عليه، والتي تستمد

سلامة حدودها من نصوصه ، أن رأت أيضاً أن تتحرر من تبعاته ، فأعلنت سياسة الاستقلال والحياد الجديدة التي انتهت أخيراً بصدور تصريح بريطاني فرنسي يحررها من تبعاتها المترتبة عليها في ميثاق لوكارنو ، مع استبقاء تعهد فرنسا وبريطانيا من جانبهما بالدفاع عن البلجيك في حالة الاعتداء عليها ؛ وهكذا انهارت دعائم هـذا الميثاق الذي كان دعامته السلام في غرب أوربا ، وحلت مكانه حالة جديدة لم يتضح مداها بعد ؛ على أن هنالك حقيقه لاريب فيها ، هو أن ، انهيار ميثاق لوكارنو ، وما اقترن به من مضاعفة التسليح الألماني ، وتقدم التفاهم بين ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية كان عاملا في إذكاء استعدادات فرنسا وبريطانيا العسكرية ، وفي توثق العلائق بينهما

وكان للمسألة الحبشية أثرها القوى في التقرب بين إيطاليا وألمانيا ، وتوجيه الأوضاع الجديدة للدبلوماسية الأوربية ، فقد رأت ايطاليا بعد الذي لقيته أثناء اعتدائها على الحبشة من خصومة بريطانيا ، أن تنسلخ نهائياً عن كتلة الدول الغربية ، وأن تتقرب إلى ألمانيا النازية التي تؤمن بمثل مبادئها العسكرية العنيفة ، والتي أيدتها وآزرتها خلال الأزمة الحبشية لأنها تجيش بمثل مطامعها الاستعمارية . وقد أثمر هذا التقرب بين الدولتين الفاشستيتين ثمرته في أوربا الوسطى وأوربا الشرقية ؛ وتبدو نتائج هذا التطور واضحة في موقف إيطاليا نحو النمسا ومسألة انضمامها إلى ألمانيا (الآنشلوس) ، فقبل التقرب الألماني الايطالي ، كانت ايطاليا تعارض هـذا الانضمام بكل قوتها ، وتعلن أنها مستعدة لتأييد الاستقلال النمسوي بالقوة المادية إذا اقتضى الأمر ، وما زلنا نذكر موقفها في سنة ١٩٣٤ حينما وقعت الثورة النازية في النمسا ، فقد حشدت بعض قواتها على الحدود النمسوية استعداداً لمقاومة أي حركة تقوم بها ألمانيا في سبيل الاستيلاء على النمسا . أما اليوم فان السياسة الايطالية حسبما تبين من مباحثات الدكتور شوشنج المستشار النمسوي والسنيور موسوليني ، لا تريد أن تذهب في سبيل تأييد النمسا إلى هـذا الحد ، خصوصاً وأنها ترى مسألة الضم إلى ألمانيا بعيدة الحدوث في الوقت الحاضر ؛ وتحاول السياسة الايطالية فوق ذلك أن تباعد بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا التي تربطها بروسيا علائق وثيقة . ومن جهة أخرى فان التحالف الصغير المكون من تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا قد تصدعت أسسه من جراء التقرب بين يوجوسلافيا وايطاليا وارتباطهما بميثاق صداقة وتفاهم ؛ وهذا الميثاق الجديد فضلا عن كونه يلطف حـدة التنافس بين الدولتين ، يمهد لنفوذ ايطاليا في البلقان ؛ وهنا تصطدم جهود السياسة الفاشستية والسياسة النازية ، ذلك أن ألمانيا تريد أيضاً أن تمكن لنفوذها في البلقان ، وان تستأنف زحفه القديم نحو الشرق ؛ ولكن إيطاليا استطاعت أن تسبقها في هـذا الميدان على مايلوح ، وذلك بعقد الميثاق اليوجوسلافي ، والتقرب إلى تركيا الكمالية تقرباً ربما أسفر في القريب العاجل عن عقد ميثاق بين الدولتين ؛ كذلك تتودد إيطاليا إلى اليونان وتعمل على توثيق العلائق معها

وهكذا تنشط السياسة الفاشستية للعمل السريع الحاسم في حوض الدانوب وفي شرق أوربا ؛ وتعمل السياسة النازية من جانبها ، في نفس الميدان ، في الحدود التي خصصت لنفوذها فيما يسمونه « محور برلين رومه » ، وتعمل بالاخص في المجر ورومانيا ، هذا عدا محاولاتها في النمسا ؛ وترمى ايطاليا بهذه الجهود الدبلوماسية المتواصلة الى تأمين مكانتها وسلامها في شرق البحر الأبيض المتوسط لكي تتفرغ الى العمل في هذا البحر ، ضد بريطانيا العظمى وضد ما تدعيه لنفسها فيه من السيادة البحرية ، ولتحقق ما تزعمه لنفسها من الاطماع الاستعمارية ؛ وترمى ألمانيا النازية بالعمل في شرق أوربا وفي البلقان الى تكوين جبهة موحدة ضد روسيا السوفيتية بيد أنه يشك كثيراً فيما اذا كانت ألمانيا تفيد من هذه الجهود ضد المارد الروسي العظيم

ويجب أخيرا ألا ننسى المشكلة الاسبانية الشائكة ، وماكان لها من أثر في هذا التطور الجديد في سير الدبلوماسية الأوربية ؛ وسيكون لنتائج الحرب الأهلية الاسبانية متى استقرت نهائياً أثرها العميق أيضا في توجيه الأوضاع السياسية الجديدة في غرب أوربا

وقد أدركت الدولتان الغربيتان الكبيرتان ، أعنى بريطانيا العظمى وفرنسا ، ما تقتضيه هذه العوامل والظروف الجديدة من تغيير عميق فى سياستيهما ، وخصوصاً أزاء ما تبديه الدولتان الفاشستيتان أعنى ايطاليا وألمانيا من نشاط متواصل فى الاستعدادات العسكرية ؛ فاما فرنسا فقد اقتنعت بأن المواثيق والعهود الدولية لم تبق لها قيمة يعتمد عليها وان المانيا النازية بعد أن حطمت كل ما تبقى من عهودها فى معاهدة الصلح وفى لوكارنو ، وأخذت تستأنف قواها العسكرية القديمة ، لا يمكن ردها وكبح جماح عدوانها وأطماعها الا بمضاعفة الاهبات العسكرية ، وهذا ماتفعله اليوم هى وحليفتها روسيا السوفيتية التى تحذر من عدوان ألمانيا مثل ما تحذر فرنسا ؛ واما بريطانيا العظمى ، فقد اقتنعت بعد مأساة الحبشة بانهيار فكرة السلامة المشتركة وعبث الاعتماد عليها فى رد الاعتداء المدبر ، وأدركت ما يهدد سلامة الامبراطورية البريطانية من جراء ظهور الفاشستية الايطالية بمظهر الظافر المتحفز ؛ فاخذت تستدرك بسرعة مدهشة مافاتها من الاهبات العسكرية ، ووضعت برنامجا هائلا للتسليح يكفل لها تفوقها القديم فى البحر والهواء ويمكنها من أن تعود فتملى كلمتها وارادتها على أولئك الذين يتحرشون بها ويحاولون تحديها ومنافستها ، وتزداد العلائق توثقا بين الدولتين الغربيتين الكبيرتين ، يجمع بينهما الخطر المشترك ، والمصالح المشتركة ، وروابط الديموقراطية

وهكذا تعود أوربا الى ما كانت عليه قبل الحرب: معسكران خصيمان يعمل كل منهما لاحراز التفوق فى الاهبات العسكرية ، ويسيطر كل منهما بنفوذه على عدد من الدول الصغيرة ؛ وهذان هما معسكر الفاشستية ، تقوده المانيا وايطاليا ، ومعسكر الديموقراطية تقوده بريطانيا وفرنسا ؛ وهكذا تعود الدبلوماسية الأوربية الى وسائلها القديمة من عقد المحالفات العسكرية والمعاهدات السرية والاعتماد على القوة الغاشمة

(***)

فى الأدب المقارن

الخيـــــــال

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

الخيال ، أو القدرة على انتزاع شتى الصور الذهنية من الواقع واستحضارها والتصرف فيها ، من المواهب التى يمتاز بها الانسان على سائر الأحياء ، ويمتاز بها النابغة على سائر الناس . رقى العلم رهين برقيه ، واتساع الأدب متصل باتساعه ، وهو بين الجماعات الأولى مصدر تلك الأساطير والأوهام التى تسود بينهم ، كما أنه مصدر ماتغص به اللغات من مجازات وتشبيهات ، بها تتسع جوانب اللغة وجوانب التفكير معا أيما اتساع ، ولولا الخيال لالتزم الفكر الانسانى الواقع المتحجر أى التزام

والخيال قوام جانب عظيم من الأدب ، إن لم يكن قوام الجانب الأرقى فيه ، إن لم يكن قوام الأدب جميعاً : فبالمجازات والتشبيهات يتأتى للأديب أن يصور شعوره ويبرز تفكيره ، إذ يمثل لنضرة الخد بنضرة الورد ، ولطلعة البطل بهيبة الأسد ، ولجيشان المعركة بتدافع الآذى ، وهلم جرا . وبالخيال يستطيع الأديب أن يسبك موضوعه ويجمع أطرافه ، وينبذ ما لا حاجة به إليه من تفصيلات قد تشوه ماهو بسبيله ، ويضفى ثوبا من الجمال والانسجام على ما ينشىء . والخيال أظهر ملكات الشاعر وأول مميزات الشعر التى تفرق بينه وبين النثر

وارتقاء الخيال واتساعه وكثرة آثاره أهم ظواهر دخول الأدب فى طوره الفنى : فانه إذا خرجت الأمة من بداوتها وعزلتها وبسطت سيادتها واتصلت بجيرانها القريبين والبعيدين ، وتحضرت وتثقفت ، اتسعت أذهان أبنائها وترامى خيالهم وتصوروا من الحقائق والمعانى والممكنات مالم يكونوا يتصورون ، وغزر المعين الذى يستمدون منه التشبيهات والاستعارات ، وينتزعون منه الحكم والأمثال ، ويتوفر الفراغ ويتسع للمجهود الأدبى المتصل ، فتظهر القصة والدرامة والقصيدة الطويلة ، ويحلق الأدباء فى أجواز الخيال وآماد الماضى والمستقبل ، متبعدين عن دواعى الحاضر الحازبة ومجالاته الضيقة ، ولا يبلغ الأدب أوج رقيه

حتى يرتقى الخيال فيه هذا الارتقاء وحتى يشغل أكثر جوانبه

وللخيال فى الأدب الانجليزى مكان رفيع وأثر بعيد شامل يتمثل فى موضوعات الأدب وأشكاله وطرائق تناول الأدباء لما هم بسبيله : فالأديب الانجليزى غزير العاطفة ، إذا جاشت أطلق لها العنان واسترسل مع خياله ، وأثار به منظر طبيعى أو غناء طائر أو ذكرى طارئة أو أثر من آثار الغابرين أو أسطورة من أساطيرهم شتى الأحلام والأطياف ، وتناهت به عاطفته إلى حدود الأمانى وآفاق الماضى والمستقبل ، وهذا الاسترسال مع الخيال إذا أثارته فكرة رئيسية هو مرجع وحدة القصيدة فى الانجليزية

وهناك عدا هذا الخيال المنبث فى كل مناحى الأدب أشكال خاصة من الأدب قوامها الخيال ، ينهض بكيانها ويوثق وشائجها . وهذه هى الملاحم الطوال فى الشعر والقصص الممثلة أو المقروءة شعراً أو نثراً ، فنى هذه لايلتزم الأديب الواقع المجرد بل يفترق عنه افتراقاً جسيما ، ويؤلف من شتى أفكاره وتجاريبه وأمانيه وصور الحياة التى مرت به ، عالماً يجيش بالحياة والحركة ويموج بالعواطف والنوازع ويفيض بالجمال والامتاع ؛ بهذه الضروب القائمة على أساس من التخيل المحض يحفل الأدب الانجليزى

فقد عالج الملاحم والمطولات من القصائد ملتون وسبنسر وهاردى ووردزورث وكثيرون غيرهم . وأشعار الملاحم تعج بالمردة والجبابرة والآلهة ، وتحفل بخوارق الأعمال وجسائم البطولة ، وهى على رغم هذا لاتخرج عن عالمنا الانسانى ولا تغفل النفس الانسانية ، بل تظل نوازع تلك النفس ومشاغلها هى الهدف الوحيد الذى يرمى إليه ناظموها : إذ فيها يتخذ أولئك الأرباب والجبابرة طبائع الناس وميول الأفراد ، وإن فاقوا البشر قوة وعظما ؛ ومن هنا يتأتى للشاعر أن يبسط آراءه فى ميدان متسع وإلى مدى فسيح ، فيستعرض مشاغل عصره ويبث خوالج نفسه ، فالخيال هنا لايعدو الحقيقة وإنما يوضحها أحسن توضيح ، فضلا عما يمتع النفس به من قصص متسق وجمال وجلال

وفى الأدب الانجليزى مالا يعد من قصص فى الشعر والنثر ممثلة ومقروءة ، وقوام القصة بطبيعتها الخيال ، وإن تراوح نصيبها منه ، فهناك القصص التى ترمى إلى أغوار الماضى وتدور حول عظماء التاريخ والأساطير ، من طموح يبيع نفسه للشيطان كى يعينه الشيطان على إدراك مطامحه ، إلى دائن يتقاضى دينه من لحم غريمه ودمه ، كما فى روايات مارلو وشكسبير . وهناك القصص الواقعية التى تلتزم الحقيقة إلى حد بعيد ، وتصور المجتمع الحاضر تصويرا دقيقا لايدع شاردة ولا واردة ، كقصص هاردى ، ودرامات جالزوردى ، ولكل من الضربين متعته

ولشغف الانجليز بسبحات الخيال ، وميلهم إلى إطلاق الفكر فى أجوازه ، لجأوا فى شعرهم ونثرهم إلى تصوير حوادث التاريخ وغرائب الأساطير ، فاستقى شعراؤهم وكتابهم عذب القصص وممتعه من تاريخ انجلترا وتواريخ اليونان والرومان وبنى اسرائيل وغيرهم ، واتخذوا من خرافات الأمم مجالا لفنهم ، فعرض سبنسر وتنيسون وكولردج وغيرهم تلك الخرافات عرضا شعريا رائقا مرصعا بجميل الوصف وبدائع المناظر الطبيعية ، وشائق مواقف الحب والبطولة .

ومن ثم امتلأ الأدب الانجليزى بأسماء الشخصيات الخيالية التى اخترعها الأدباء من مخيلاتهم ولم يكن لها قبلهم وجود أو كان لها وجود مبهم فى عالم الخرافة فأخرجوها بعبقرياتهم إلى عالم النور والوضوح ، وألبسوها ثوبا من الجمال والجاذبية ، وأصبح بعض هؤلاء الأشخاص الخياليين الذين امتلأت بذكرهم وأخبارهم الملاحم والقصص والشعر والنثر ، أعلاما على طبائع فى الانسان معروفة ، ورموزا على حقائق فى النفس البشرية مشهودة ، فشكسبير مثلا لم يكن يدع خلقا إنسانياً نبيلا أو وضيعا إلا صوره فى رواياته وخلق مالا يعد من الشخصيات الحية ، مثل هملت وروميو وجولييت وياجو وشيلوخ ، وغيرهم ممن صارلهم وجود قائم فى عالم الأدب كوجود أعلام الماضى فى عالم التاريخ

لم يجر الأدب العربى إلى هذا المدى من الخيال ، فلم تكن فيه ملاحم ولم تكن المطولات من هم شعرائه ، ولم يرتق فيه القصص ولم يحتو على شخصيات متخيلة من خلق الأدباء ، وظل الحاضر القريب والواقع المحقق ديدن أدبائه ، فالأديب العربى كان شديد الايجاز فى مقاله وتعبيره عما يحس ، يعبر عن أفكاره أشتاتا كلما عن له حافز إلى الكتابة ، لايدخر أفكاره ولا يربط منها حاضرا بماض ، بل يرسلها الشاعر على السجية أبياتا محكمة النسج موجزة البيان ، ويرسلها الكاتب روايات قصيرة متتابعة منسوبة كل رواية منها إلى صاحبها أو راويها أو شهودها ؛ فأحسن أشعار المتنبى حكم موجزة متتابعة مستقل كل منها ببيت لاتكاد تجمعها علاقة ؛ وقوام كتب كثيرة كمؤلفات الجاحظ والثعالبى وابن عبد ربه روايات وشواهد متتابعة ، لايكاد يكون للأديب فضل غير جمعها وتبويبها

كان الشعر الجاهلى محدود الخيال قريب المأخذ لمكان أربابه من البداوة وبعدهم عن الثقافة ، فلما تحضر العرب وتثقفوا واختلطوا بالأمم واطلعوا على أحوال الأقطار البعيدة ، اتسع من

جراء ذلك خيالهم وبان أثره فى شعرهم ونثرهم ، فالمحدثون من الشعراء لاشك أبعدخيالا وأكثر تفننا فى التشبيهات من الجاهليين. وظهر ضرب من القصص الخيالى يتجلى فى مقامات بديع الزمان ، ورسالة الغفران ، فنى هذه وتلكمواقف وحوادث كلهامن اختراع الخيال ؛ ثم هناك الروايات والأخبار العديدة التى كان يخترعها الرواة والكتاب، يطلبون الاغراب والتطرف والرواج ، أو يؤيدون الحجج والمذاهب .

بيد أن هاتيك جميعا آثار ضئيلة الشأن ، وهى إذا قيست بمافى الانجليزية من سبحات الخيال ، لم تكن إلا شبيهة بطيران الدجاجة الخفيف مقيساً بتحليق البازى الكاسر ؛ ورسالة الغفران على جمال فكرتها ومشابهتها لما فى آداب الأمم الكبيرة فى جريان حوادثها فى عالم الخلد ، وامتلائها بممتع المواقف والمحاورات ، مكتظة بمسائل النحو والأدب النظرية العقيمة ، التى كان كثير من الأدباء ينفقون أعمارهم فى غياهبها غافلين عما هو أهم منها من حقائق الحياة وجمالها ، ولم يكن الخيال ولا الجمال ولا القصص غرض المعرى الصحيح حين أملاها ، وإنما كانت تلك المسائل اللغوية هى مقصده الأول ؛ ومقامات البديع على جمالها واهتداء البديع إلى اختراع شخصية أبى الفتح فيها ، مكتظة كذلك بالألاعيب اللفظية والبراعات اللغوية ؛ فالمقامات ورسالة الغفران جميلتان على أن تكونا خطوتين إلى مابعدهما ، ومرحلتين فى طريق نمو القصص الصحيح وازدهار الخيال الراقى ؛ بيد أن ذلك النمو لم يطرد وذلك الرقى وقف فى أول الطريق . وإن من العجائب حقاً أن يكون أعظم أثر خيال فى الأدب العربى من صنع شاعر كفيف محجوب عن آفاق الحياة ومباهجها

فكبح عنان الخيال كان دأب أدباء العربية حتى بعد دخول الأدب عصره الفنى ، فالفكرة التى تخطر للأديب الانجليزى فيحوك حولها قصة تموج بشتى الصور المنتزعة من الحياة ، أو ينظم حولها قصيدة طويلة تجمع أشتات الأفكار والمعانى ، يكتفى الأديب العربى بصوغها فى بيت شعر محكم يذهب مثلا ويروع بايجازه وشموله ، لا بتقصيه واستيعابه ، فكل بيت من أبيات المتنبى السائرة يحوى نظرة نافذة إلى حقائق الحياة ، هى بنفسها محور صالح أن تدور حوله قصة أو درامة ، بينما الأديب العربى قد أودعها أوجز لفظ وأعمه

وقد نظم شلى قصيدة فى قرابة مائة بيت ، حين استرعى تفكيره هبوب ريح الشتاء الباردة فى إيطاليا ، فصور عصفها بالأوراق الجافة ، ودفعها البذور إلى حيث تنام فى التربة حتى ينبهها الربيع بدفئه وطيب أوانه ، وشبه ثوران عاصفتها على الأفق بالشعور المتهدلة عن رأس ماياناد احدى العرائس الخرافية ، ووصف اقشعرار النبات المائى فى قاع المحيط لدى إحساسه مرور تلك الرياح ، ثم طلب إلى الريح أن ترفعه كما ترفع تلك الأوراق وتدفعه كما تدفع تلك البذور ، وتنفخ فيه من قوتها ، وتتخذه نايًا لها ، عله يستطيع أن يطير بأجنحتها ، ويبذر بين الخلق بذور أفكاره الاصلاحية التى كان أميناً لها طول حياته . ولشكسبير مقطوعة عن ريح الشتاء أيضاً فى رواية « كما تشاء » ، يسترسل فيها فى التأمل على ذلك النحو ؛ اما الشاعر العربى فاذا استرعى انتباهه هبوب الريح فيودع خاطره أوجز لفظ ، واصفا تهييج الريح لذكرياته أو محملا إياها سلامه إلى أحبائه ، كما قال بشار :

هوى صاحبى ريح الشمال وإنما أحب لقلبى أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهى تناهى وفيها من عبيدة طيب

والغريب أنه برغم غنى الأدب الانجليزى بآثار الخيال وندرة تلك الآثار فى الأدب العربى ، نرى كلمات الخيال وخيال الشعراء والمخيلة وغيرها كثيرة التداول فى العربية نادرة الورود فى النقد الانجليزى ؛ وإنما كان نقاد العربية يطلقون اسم الخيال على أبعد الأقوال عن مجال الخيال الصحيح ، يطلقونه على مادرج عليه الشعراء المداحون من اختراع مواقف الغرام فى استهلال قصائدهم ، وتلفيق صفات الجود والبأس لممدوحيهم ، ومن ثم اشتهر البحترى بالخيال ، لا لانه دبج القصص المحكم أو نظم المطولات الرائعات بل لانه كان من أمضى الشعراء فى بابى المديح والغزل الاستهلالى ، ومن أكثرهم ذكراً للأطياف والوداع واللقاء ، وليس تحت مثل هذا الخيال طائل ، إذ قوامه التكلف والمحال والا يغال فى البعد عن حقائق الحياة والشعور ، بينما اخص خصائص الخيال الفنى الصحيح صدق البيان للشعور الصحيح فى أعمق أعماقه وأرحب آفاقه

فاذا قال بشار إن الجود من كف ممدوحه يعدى ، وقال أبو تمام إن ممدوحه لايستطيع قبض أنامله لأنه تعود بسطها بالعطاء ، وقال المتنبى إن أسنان صواحبه برد خشى أن يذيبه من حر أنفاسه فكان هو الذائب من حر أشواقه ، وإذا شبه ابن المعتز الهلال بمنجل يحصد نجوم الليل حصداً ، أو شبه ابن خفاجة النهر وعشب ضفافه بهدب يحف بمقلة زرقاء ، فقد باعدوا جميعاً وأغربوا وخالفوا حقائق المنطق والشعور ، وجاءوا بماهو أشبه بعبث الصبيان وهذر المخمورين ، وكان قولهم أبعد الأشياء عن الخيال ، فالخيال ليس هو تجاهل حقائق الحياة وتحديها والتفنن فى مناقضتها ، وإنما هو قدرة الفكر على استيعابها والاشتمال على قريبها وبعيدها ، والتصرف فيها

والتفنن فى عرضها ، ولاغرو إذ كانت تلك نظرة نقاد العربية إلى الخيال أن قالوا إن أعذب الشعر أكذبه ، والحق أن أعذب الشعر أصدقه ، وأجود الخيال أكثره اشتمالا على الحقيقة

وغزارة آثار الخيال فى الأدب الانجليزى ترجع لا شك إلى اختلاف مناظر الطبيعة فى انجلترا وتعددها وتقلب أحوال الجو ، ثم هى ترجع إلى اتساع أذهان الانجليز باقتباسهم حضارة أوربا ومساهمتهم فيها ، وإلى الكشوف الجغرافية العظيمة التى عاصرت نهوض الأدب الانجليزى ، وهى ترجع أيضاً إلى اطلاع الانجليز على الأدب اليونانى الحافل بروائع الحوادث والأساطير ، المملوء بأشعار الملاحم والدرامات ، فقد كان لشعراء الانجليزية وكتابها من ذلك معين لا يفنى ، وكان الاطلاع على التراث الكلاسى بمثابة كشف جغرافى آخر واطلاع على عالم ثان غير هذا العالم المعهود ، مما أطلق الأذهان إلى غايات الخيال ، وكان للأدب العامى فى ذلك أثره أيضاً

وترجع ضآلة حظ الأدب العربى من الخيال الصحيح السامى ، وكثرة ما به من آثار التخيل الزائف ، إلى نزعة الجمود التى كانت تسوده وتقره دائماً على محاكاة الأقدمين واحتذاء الأدب الجاهلى ، وهذا بطبيعته المتبدية وبيئته الصحراوية التى ترعرع فيها ، أدب أولى قليل الحظ من الخيال كثير الالتزام للواقع الحاضر ؛ هذا إلى اشتغال الأدباء بمدح ذوى السلطان واجتهادهم فى تخيل كل منقبة وإضافتها اليهم ؛ أضف إلى ذلك أن الأدب العربى لم ينتفع كما انتفع الأدب الانجليزى بأدب الاغريق ، فحجبت عنه تلك العوالم الزاخرة بالحقائق والخيالات . وقد اطلع العرب على فلسفة الاغريق فحاكى غير واحد من فلاسفتهم جمهورية أفلاطون بتخيل المدينة الفاضلة ، ولو اطلعوا كذلك على أدبهم لاستفادوا منه فائدته المحتومة

ظل الأدب العربى مكبوح الخيال ملتزماً للواقع مؤثراً للإيجاز متشبثاً بالرواية التاريخية المسندة ، وترك الخيال الواسع للعامة يسبحون فى عوالمه التى تستهوى النفس الانسانية ، فجالوا فى نواحى القصص يودعونه أفكارهم على ما بها من قصور ، وآمالهم على ما بها من سذاجة وما يشوبها من شهوات الحس ، وثقافتهم على ما يخالجها من جهل واضطراب ، وجاء الأدب العربى الفصيح فى أزهر عصوره مشتملا على ضروب من التخيل الفج لا يستسيغها لب ، ولا يقرها فن ، مشتملا بجانب ذلك على وجدانيات صادقة وحكم وأمثال رائعة موجزة ، هى خير ما فى الأدب العربى من لباب الفكر والشعور ، فالأدب العربى يبلغ قمة مجده بما فيه من آثار الحكمة ، لا بما يحويه من صور الخيال

فخرى أبو السعود

الفلسفة الشرقيـــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٤ —

الديانة المصرية — التوفيق بين الديانة والفلسفة

ان ذيوع عقيدة تأليه الملك أو حلول روح القدس فى جسده الذى حدثناك عنه فى الكلمة السابقة قد خلق أمام العقل المصرى مشكلة معقدة عويصة يمكن أن تعتبر اللبنة الأولى من بناء الفلسفة المصرية ، وأن تعد محاولة حلها أقدم المحاولات الفلسفية التى عرفها تاريخ العقل البشرى ، لأن عهدها يصعد فى سلم الماضي أكثر من ستة آلاف سنة ، وأين من هذه الفلسفات الأخرى التى لا يتجاوز أقدمها بضعة عشر قرنا قبل المسيح ؟ تلك المشكلة التى نشأت عند المصريين من تأليه الملك هى : « إننا نشاهد أن الملك يموت كما تموت عامة الناس فكيف يموت الإله الذى أولى صفاته الخلود ؟ ! » .

لم تكد هذه المشكلة تأخذ مكانها فى الحياة الفكرية المصرية حتى وجد المتفلسفون الأولون لها حلا وهو أن فرعون لا يموت كما يموت الناس ، وإنما حين يعجز جسمه المادى عن النشاط العملى يخرج منه السر الإلهى أو الروح القدس ، ليحل فى جسم ابنه الشاب الممتلىء قوة ونشاطا . وإذاً فروح « هورروس » هى التى تحكم فى كل هذه الأجساد المختلفة المسماة بالفراعنة والتى أطلق على كل جسد منها اسم خاص فى الظاهر فحسب ، ولكن هذا الجواب لا يشفى غليل المتفلسفين الباحثين عن خفايا الكون وأسرار الوجود ، لأنهم لا يكادون يتلقون هذا الجواب حتى يصطدموا بالتقاليد الدينية التى تصرح بأن فرعون وهو فى قبره يعين ابنه على الحكم وينصحه فى المواقف الحرجة . ومن هذا تنشأ مشكلة فلسفية أخرى وهى « كيف تقولون إن روح (هورروس) تغادر جسم فرعون المائت بعد عجزه عن النشاط إلى جسم ابنه الشاب النشيط ثم

تعودون فتقولون : إن فرعون بعد رحيله إلى العالم الآخر يظل متصلا بابنه يعاونه وينصحه ؟ فالتصريح الأول يفيد أنه ليس هناك إلا شخصية روحية واحدة تغادر الجسم الضعيف العاجز إلى الجسم القوى النشيط ، والتصريح الثانى يفهم منه أن فرعون بعد موته تبقى له شخصية روحية مستقلة تنصح الملك الجديد وتعاونه . ولا ريب أن هذا تناقض ظاهر يدعو العقول الفلسفية إلى البحث والتنقيب ، وهذا هو الذى كان بالفعل ، إذ بدأت الروح الفلسفية تسرى بين البيئات المصرية المفكرة منذ ذلك العهد المتغلغل فى غيابات الماضى فاهتدت إلى حل خيل إليها أنه مقبول من الوجهة العقلية ، وهو أن « هوروس » له عدة شخصيات إحداها الشخصية الدنيا التى تتقمص جسد فرعون ؛ وثانيتها الشخصية العليا الحاكمة فى عالم الآخرة ؛ وثالثتها الشخصية الوسطى وهى التى تقوم بنصيحة الشخصية الدنيا فى جسدها الجديد . وبهذا تنحل المشكلة ويزول التناقض .

لم يكن المصريون كغيرهم من الأمم القديمة يعتقدون أن الجسم الفرعونى بعد مغادرة الروح إياه يصبح جيفة كأجسام بقية البشر والحيوانات ، وإنما كانوا يرون أن حلول روح القدس فيها تكسبها شرفا خالداً وبركة أبدية . ولهذا فبقدر ما يبقى جسم الملك محفوظاً فى قبره تنتشر السعادة ويعم الخير فى مصر ، وهذا هو الإدراك الأول الذى كان يعاصر مبدأ الملكية القديمة ، أما بعد هذا العهد بقليل فقد انتقل تقديس الروح من دائرة الملوك الضيقة إلى جميع الأرواح البشرية وأخذ المفكرون يترقون فى الروحية حتى بلغوا فيها الأوج الذى سنشير إليه فيما بعد .

وقد كانت الروح تعنى بأن يترك فى الجسم فرجة ، لتستطيع العودة اليه منها متى شاءت الرجوع من عالم « أوزوريس » إلى عالم الدنيا ، ولكن هذه العودة لم تكن محبوبة عند الروح إلا إبان صلاحية الجسم لها ، فإذا يبست « المومياء » وتقلص جلدها وانكمشت أعصابها وفقدت هذه الصلاحية تأخرت الروح عن المجىء إلى الجسم ، وهذه خسارة كبرى كانت أحد الدوافع التى حملت المصريين على الدقة فى صنع التماثيل بعد التحنيط .

وكان عالم « أوزيريس » فى أول عهد المصريين بهذه العقيدة عالما قاسيا محفوفا بالأشواك والمخاطر حتى على فرعون نفسه ، إذ كانت روحه لا تمر إلى مملكة « أوزيريس » إلا بعد أن تجتاز عدة عقبات ومصاعب تنشأ من أسئلة دقيقة ومحاسبات عسيرة يوجهها الحارس المكلف بمحاسبة المارة ، وكانت هذه المملكة فى عقيدة المصريين تحت الأرض وكان يجب أن يمر إليها الفراعنة ، ومن فى حكمهم ، ليستمتعوا بعد اجتياز عقباتها بالنعيم المقيم فى عالم الخلود .

ولما رأى الكهنة أن فرعون يقاسى قبل الوصول إلى امبراطورية « أوزيريس » أهوالا صعابا أشاروا بأن تتلى عند دفن المومياء الملكية التعاويذ التى تلتها « إيزيس » على جسم زوجها أوزيريس فأعادته إلى الحياة ، أو أن تكتب هذه التعاويذ وتوضع مع المومياء فى مقرها الأخير ، ليعود فرعون فى سهولة إلى الحياة ليجتاز العقبات إلى مملكة الآخرة

ولما ارتقت الديانة المصرية تطورت هذه الشعيرة فانتقل فرعون من مملكة « أوزيريس » إلى مملكة « رع » كبير الآلهة وترك الأولى لأفراد الشعب الذين يجب أن يجتازوا الصراط جميعاً إلى المملكة وأن يمر بهم ما كان فى العهد القديم خاصاً بفرعون

أما فرعون فقد أصبح فى العقيدة الجديدة قميناً بأن يذهب إلى المملكة الساطعة كما كانوا يسمونها . وكان يستعين على الصعود إليها فى السماء تارة بجناحى « هوروس » وأخرى بجناحى « توت » وثالثة بسلم يحضره إليه الآلهة ، وهو سلم طويل يتصل أوله بمملكة « أوزيريس » تحت الأرض وتلامس قمة مملكة « رع » فى السماء فاذا وصل إلى هذا المقر الالهى ظل فيه زمناً يحمل أسم « هوروس » ويستمتع بامتيازاته ، ثم ارتقى بعد ذلك إلى منزلة « رع » نفسه وامتزج به واتحد فيه اتحاداً كلياً . ومنذ أن ظهرت فى الديانة المصرية هذه الصلة بين « رع » وفرعون حصل فيها تطور وانقلاب عظيمان إذ أصبح « رع » هو الذى يطوف بالملكة ليلا ثم يتغشاها قبل حملها بالملك المقبل . وهكذا اصبح « رع » هو الأب المباشر لفراعنة الدنيا وهو الكل الأعظم الذى يتلاشون فيه فى الآخرة

هل نشأ التطور الدينى الجديد من الفلسفة أو الفلسفة هى التى نشأت من هذا التطور ؟

اختلف الباحثون من العلماء فى هذه النقطة فى الاجابة على هذا السؤال اختلافاً شديداً، فأجاب الفريق الأول وهم الأكثرية العظمى من الباحثين بأن الأصل هو التطور الدينى وأن الفلسفة ناشئة عن هذا التطور ووليدة احتكاك الأفكار حوله كما حدث فى مسألة تعدد شخصيات روح « هوروس » التى أسلفنا لك الحديث عنها. وأجاب الفريق الثانى إجابة مباينة لرأى الفريق الأول تمام المباينة فقرروا أن التفكير الحر هو الذى سبق إلى إنشاء نظريات فلسفية لم يجد الدين بداً من أن يتجه نحوها ويصبغها بلونه. وإليك بيان هذين المذهبين:

المذهب الأول

لما سرت عقيدة امتزاج الآلهة التى ترجع بالتعدد إلى أصل واحد وقالت بالثالوث المكون من: « أوزيريس » و « إيزيس » و « هوروس » الثلاثة الراجعين إلى واحد، ثم تطورت من التثليث الموحد إلى التتسيع الموحد كذلك، فقالت بتسعة آلهة يرجعون فى النهاية إلى إله واحد، حدث اضطراب فى الأفكار، وتناقضت العقيدة مع العقل وكاد يحدث بينهما تناقض خطير لولا أن أخذ المفكرون يفلسفون ويسلكون الممكن والمستحيل من السبل ليوفقوا بين العقل والعقيدة ولكنهم أخضعوا العقيدة للعقل، بل وللعقل الواقعى أو الطبيعى حيث قرروا أن الماء هو « الكاؤوس » المبهم أو العنصر الأول المشتمل على جميع ما فى الكون من عناصر، وأنه كان ولا شىء معه لا آلهة ولا أناسى، وأول من ظهر من الماء هو « رع » الذى لم يلبث أن تمركز وكون الشمس، ذلك الكوكب العظيم الذى من فعله ظهر إلهان عظيمان هما: « سو » أى الهواء و « تيفنيه » أى الفراغ. ومن اجتماع هذين الإلهين تولد إلهان آخران هما: « جيب » أى الأرض و « نوت » أى السماء، ومن اجتماع هذين الإلهين أيضاً نشأ أربعة آلهة كل اثنين منها على طرفى نقيض من الآخرين. فأما الزوج الأول فهو « أوزيريس » أى النيل، و « إيزيس » أى الأرض المخصبة؛ وأما الزوج الثانى، فهو « سيت » أى الصحراء، و « نيفتيس » أى الأرض القاحلة، وهذه هى الآلهة التسعة الراجعة إلى واحد والتى كان المصريون يطلقون عليها: « L. Enneade » أى المتسع أو التاسوع المقدس. ولم يكن هذا التاسوع هو كل ماعند المصريين من آلهة وإنما كان هيئة رياسة عليا لجمهور كبير من صغار الآلهة وأنصافها

المذهب الثانى

ذهب جماعة من العلماء نخص منهم بالذكر الأستاذ « ألكسندر موريه » المستمصر الكبير إلى أن التاسوع لم يكن هو الأصل كما فهم العلماء الآخرون، وإنما اكتشف العقل المصرى القوى المتمدين تسع قوى من قوى الطبيعة هى الشمس والهواء والفراغ والأرض والسماء والنيل والخصوبة والجدب والصحراء ثم أسندوا إلى هذه القوى كل أفاعيل الكون، ولما رأوا أن هذا التفكير الفلسفى ليس فى متناول أذهان العامة لم يسعهم إلا أن يؤلهوا هذه القوى، وأن يطلقوا عليها أسماء مقدسة لتفهمها الجماهير هى نفسها حين رأت هذا التقدير العظيم من جانب العلماء لتلك القوى أولته تاويلا دينياً يتفق مع عاطفتها الفطرية التى لا تقدس إلا المعبودات؛ وفى كلتا الحالتين يكون العقل المصرى العلمى هو الذى أوجد التاسوع، لا التاسوع هو الذى أوجد التفكير فى قوى الطبيعة كما يذهب الفريق الأول

(يتبع) **محمد غلاب**

مدخل الفردوس المفقود

لملتون

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

يا ربة الشعر أنشدينا :
كيف كان من الانسان أول العصيان ؟
ما تلكم الشجرة الحرام وما جناها ؟
فقطفها الفانى أورَدَ الأرضَ الفناء ،
وأضعنا به عدْناً ، وعانينا ما نلاقى من عناء .
وهكذا نظل حتى يبعثنا نبى عظيم ، فيسترد لنا دار النعيم .
غردى ! يا من أوحيت إلى موسى ،
فى جنح الذُّرى من « حوريب » أو « طور سينين » ،
فألهمت ذيّاك الراعى ، الذى علّم القبيل المصطفى
كيف استقام فى الأزل العماءُ ، فجاءت منه الأرض والسماء .
فان استطبت سماوة « الصهيون » .
حيث غدير « سلوى » تدفق واثباً حيال بيت الله ،
فاياكِ ثمت أستعين على نشيدى العصيب
الذى اعتزَمَ ألا يلوى فى تحوامه
حتى يحلق صاعداً فوق سامق « أونيا » ،
ينشد غاية لم يحاولها قبلُ نثرٌ ولا قصيد .
أنت على الخصوص ياذا « الروحُ » ، اليك أنحو !
يا من يؤثر على جلاميد المعابد طهر القلب والتقوى ،
فأتنى العلم إنك أنت العليم .
قد شهدتَ الوجود منذ فاتحة الوجود ،
وجلستَ فى وداعة الورقاء ، باسطاً جناحيك العاتيين ،
تاملُ « المهوى » الرحيب ، حتى أثقلته فكراً وشعراً .
فاجلُ ياذا الروح قاتمى ، وارفع وطىء دعائمى ،
علّى بهذا المقال الجليل أبلغ شأواً ،
فأكون « للحكمة السرمدية » ترجماناً
ولرحمة الله بالانسان برهاناً .
ألا حدثينا - فليست تخفى الجنة عنك شيئاً ، كلا ، ولا مهوى
الجحيم السحيق - حدثينا
عن أبوينا الأوّلين : ماذا دعاهما ، إذ هما يرفلان فى
ذاك النعيم ،
وإذ هما عند الله أقرب المقربين ، ماذا دعاهما
أن يهجرا « البارى » فيهويا ؟ وان يعصيا مشيئة الله
لمحظور واحد ، لولاه لسيطرا على العالمين ؟
من ذا أغواهما بديئاً بذاك العقوق الذميم ؟
إنه « الأرقم » الرجيم ثارت غيلته
حقداً ووتراً ، فمكر بأم البشر
حين ألقاه الغرور من الفردوس طريداً ،
وفى أعقابه عصبة الملائكة الثائرين .
فتطاول أن يَفْضُل فى السلطان سائر الاخدان
وطمع بعونهم أن يضارع « العلى العظيم »
أن عصاه : ثم دعاه الأمل الطامع فى العرش والملكوت
أن يثير فى الجنة حرباً وقودها الغرور والفجور
فخاب الرجاء ؛ إذ طوح به الله ذو الجبروت
فهوى من علياء السماء يتقد لهباً ،
يروع القلب منه ما احترق وما انحطم ؛
وتردى فى هاوية ما لها من قرار ، بها يأوى
مغلولا بصم السلاسل يصطلى النار جزاء
بما حدثته النفس أن يناجز « القوى القدير »
وفى قرار مهواه تسع فضاوات
مما يذرع به الأناسى خطو الليل والنهار
تردى الأثيم هزيلا بصحبة شيعته
يتقلب فى حمأة الجحيم ، لعيناً خالداً فى لعنته ؛
ثم قضى نحسه أن ينال من غضب الله المزيد
فأخذت تضنيه لوعة النعيم المفقود ، وتشقيه لذعة العذاب
الموجود ، وطفق يجيل البصر الذى يقدح الشرر
والذى شهد ماشهد من أليم الكرب والكدر

وفى نظراته الغرور العنيد والمقت الشديد
فسرعان مارأى — ماوسع الملائكة النظر —
رأى ما حوله موحشاً قفراً يبابا
ورآه فى جب مخيف التهبت جوانبه التهاباً
كأنه أتون سحيق مستعر ، ناره لاتبعث النور ،
فإن هو إلا ظلام منظور ، كأنما أضىء ليضى.
مشاهد الغم ومطارح الهم وأشباح الأسى
حيث الدعة والسلام لايجدان مقراً
وحيث لايشرق الأمل الذى يشرق على العالمين أجمعين ،
فهو ماينفك يصلى عذاباً مقيما وطوفاناً من حميم
تغذو لظاه شواظ أبدا تذكو ولا تخبو
فذلك مستقر أولئك العصاة كما أراده عدل الإله
حيث أعدّ لهم سجن محلولك داج
مُقامهم فيه ينأى عن الله وعن نور السماء
ثلاثة أمثال ماينأى قلب الأرض عن قطبها الأقصى
فيا بعد مأواهم عن الذى كان منه مهواهم !
وهنا لك سرعان ماشهد الأثيم رفاق هُوِيه
يحتويهم الطوفان وتغمرهم الأعاصير ونار السعير ؛
ورأى إلى جواره يتلوى من يتلوه سلطاناً وعصياناً
ومن عرفته أرض القدس بعدئذ باسم « ابليس »
فاتجه إليه كبير أعداء الله :
من سُمّى فى السماء منذ ذلك الحين « شيطانا »
وألقى عبارة جريئة دوت فى ذلك السكون الرهيب ، فقال:
« أفأنت هو؟ — إذن ياويلتاه ! لشدما زللت وما تبدلت ! —
ألا إن كنتَ مَنْ فى دار النور والنعيم
كان متشحاً بهالة من سنىّ الضياء
أخمدت بسناها الألوف من مشرق الوجوه —
لئن كنتَ من وشجنى به يوما
تبادل العهد ، واجتماع الرأى والكلمة ، واتحاد الأمل ،
وآصرتنا غمرات هذا المطلب الجليل ،

فهاهى ذى أواصر الشقاء توشج اليوم بيننا ، فتوحدُ هلكنا.
أفرأيت إلى أى هاوية أوينا ، ومن أى الذرى هوينا ؟
ألا إن الله فى غضبته ، ساق الدليل على رجحان قوته ؛
فَمنْ قبلئذ كان يدرى كم تبطش تانك الذراعان العتيّتان ؟
ولكنى على ذاك لست بنادم ، وإن صبّ علينا الظافر القادر
ما استطاع فى سورته من صنوف العذاب
فعزمى المصمم لن يحول ، وإن حال منى رونق الإهاب ؛
ولن أبدل ما أثاره حق الهضيم فى نفسى من أبى الكبرياء
التى سموت بها فنازلت « أقوى الأقوياء »
واستعْدَيتُ معى فى النزال عرمرما
من « الأرواح » شاكى السلاح
الذين استبسلوا فكانوا على حكم الله مارقين ،
وآثرونى من دونه . ثم قارعوه جبروتا بجبروت
حتى زلزلوا قوائم عرشه
فى حرب كانت فى حومة السماء سجالا
وماذا أنْ فاتنا النصر فى حومة الوغى ؟
فإنا بذلك لم نفقد كل شىء —
وهل يكون هزيما ، من له هذا العزم الحديد
والثأر السديد والمقت الذى لا يزول ؟
ومن له هذا الجنان الذى لا يلين ولا يحول ؟
ذاك نصر لن يسلبنيه الله بسورته أو صولته
فما كان أخسها ضعة ،
لو أنى جثوت له مسترحما وركعت ضارعا ،
أو أنى خشعت لصولته ،
وهو الذى ارتاع لهذى الذراع منذ هنيهة
حتى ارتاب فى دولته !
أما وقد شاء القضاء لسطوة الآلهة ألا تدول ،
ولهذه الجحيم ألا تزول ،
وبعد أن عجمتنا خطوب هذا الحدث الجسيم ،
فازددنا به رشادا وما فُلّ لنا سلاح
وما يزال يحدونا زاهر الرجاء ،
فلنُشنّها على عدونا الألدّ — بالقتل أو الختل — حربا عوانا ،

إنه أصاب النصر فانتشى جذلا
أنْ رآه طليق الحكمَ ، فطغى فى السماء ،
هكذا قال « الملكُ » الكافر ، برغم ما يشقيه من العذاب
مختالا يصول ، وإن يكن خطيم النفس باليأس العميق ،
فلم يلبث رفيقه الجرىء أن أجاب : —
« مولاى ! وأنت زعيم العديد من العتاة متوجين
قدتَ إلى الوغى تحت لوائك « السيروفيم » مدججين
وتهددت رب السماء الدائم بالخطر
فأقمت الدليل على رفيع جلاله
سواء أكان بالحق أم بالحظ أم بالقدر .
ياويح نفسى أن ترى جليا هذا الخطب الرهيب
الذى طوّحنا فأشجانا وهزمنا فأردانا
وأضاع منا الجنة ، وهوينا به إلى هذا الحضيض
يهدنا ، ونحن المعشر القوى ، هلاك مبيد
ما بادت الأرباب وكائنات السماء :
فلا يزال الروح والعقل منا عن الهلك فى حرز حريز
وسرعان ما نسترد العنفوان المفقود ، وأما المجد فلن يعود
وسالف النعيم قد استأصله الشقاء الموجود .
ولكن لم لا يكون الله وهو لنا « قاهر »
(فقد آمنت أنه على كل شىء قادر ،
إذ ما كان يستطيع أن يدك قوانا سوى مطلق قدرته)
لم لا يكون الله قد أبقى على نفوسنا وقوانا ،
فلم ينتقصها ليشتد أذانا ونضطلع بمر العذاب
لكى يُرضى فينا غيظه الناقم
أو ليامرنا بما شاء من فادح الأعمال ، فنستطيع الأداء ؟
فقد أمسينا له بحق النصر عبيدا أرقاء ،
إن شاء اصطلينا النار فى قلب الجحيم
وإن شاء سخّرنا فى اللج البهيم
فإن أحسسنا بالقوة موفورة ، فاين فى ذلك الغَناء ؟
وهل أجدى علينا خلود البقاء إلا دوام الشقاء ؟ »

زكى نجيب محمود

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

أمجاد

أفتقيمون للحق دليلا من اقتحام أحد الناس للهب فى سبيل تعاليمه ؟ وهل لمثل هذا التعليم ما للعقيدة التى تتولد متقدة من لهبها نفسه . إذا ما تلاقى رأس بارد بقلب مضطرم نشأت من التقائهما تلك العاصفة التى يدعوها الناس مخلصا . ولكم وجد على الأرض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً ممن يدعوهم الشعب مخلصين ، وما كان هؤلاء المخلصون إلا عاصفات كاسحات تهب متوالية على الأرض

إذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية ، أيها الأخوة ، فعليكم أن تنقذوا أنفسكم حتى ممن يفوقون هؤلاء المخلصين عظمة ومجداً . فإن الانسان الكامل لم يظهر على الأرض بعد . لقد حدقت باعظم رجل وبأحقر رجل عن كثب وهما عاريان فظهرا لعيانى متشابهين ، بل رأيت أعظمها أشد توغلا فى المعائب البشرية من الآخرين .

هكذا تكلم زارا . . .

الفضلاء

لا ينبه الشعور الغافل إلا الأرعاد والأبراق ، وما تكلم الجمال إلا بنبرات هامسة لا تنفذ إلا إلى أشد الأرواح انتباهاً

أسمعتنى عصمتى اليوم ضحكة تعالت فيها قهقهة الجمال السامية . فجمالى يسخر بكم ، أيها الفضلاء ، إذ سمعته يقول : — إنهم يطلبون لفضائلهم ثمناً .

إنكم تتقاضون ثمن فضيلتكم وتطالبون بالجزاء ، أيها الفضلاء ، طامحين إلى امتلاك أماكن فى السماء ، بدلا من أماكن فى الأرض ، وإلى الظفر بالأبدية بدلا من الدهر الزائل .

إنكم لتحقدون على لأنى أعلم الناس أن ليس هنالك

لاحسيب ولا مثيب ، والحق أنى أمتنع عن القول بالثواب بل أذهب إلى أبعد من هذا فأقول أن ليس للفضيلة ماتجزى به نفسها جميل الجزاء .

إن ما يؤلمنى هو أن العقاب والثواب قد دسا دسا فى غاية كل أمر ، بل حشرا حشراً فى أعماق نفوسكم ، أيها الفضلاء .

ولكن لكلمتى أن تشق أعماق هذه النفوس ذاهبة فيها كقرن الوعل وكالسكة تشق الأرض لتحرثها . فلتتكشف نفوسكم عن خفاياها أمام النور ، لأن الحقيقة لن تنفصل عن الضلال فيكم حتى تنطرحوا عراة تحت شعاع الشمس . ذلك لأن حقيقة ذاتكم إنما هي أطهر من أن تسمح بتدنسكم بكلمات الانتقام والعقاب والمكافأة والمقابلة بالمثل .

إنكم تحبون فضيلتكم كما تحب الأم طفلها ، وهل سمعتم أن أما طلبت مكافأة على عطف الأمومة فيها ؟

هل فضيلتكم إلا ذاتكم نفسها وهى أعز ما لكم ؛ وما أمنيتكم إلا أمنية الحلقة التى لاتلتوى وتستدير إلا ليصبح أخرها أولا لها .

إن كل عمل ينشأ عن فضيلتكم إنما هو بمثابة نور كوكب يعروه الانطفاء ، فما يزال نوره يخترق مجراه فى الأفلاك ، وليس من حد ينتهى سيره إليه . وهكذا لن تزال أشعة فضيلتكم سائرة فى سبيلها حتى بعد انتهاء عملها وتواريه فى عالم النسيان ، لأن إشعاع الفضيلة مستمر لا يعروه زوال .

لتكن فضيلتكم تعبيراً عن ذاتكم وما تلك غريبة عن هذه فلا تحسبوا أنها جلد ورداء .

هذه هى حقيقة روحكم الكامنة ، أيها العقلاء . ولكن من الناس من يخيل له أن الفضيلة عبارة عن تشنج تحت السياط الجالدة ، ولطالما سمعتم صياح هؤلاء الواهمين .

ومن الناس من يرى الفضيلة فى الكسل والرزيلة ، وما ينتبه عدلهم إلا عند ما يتثاءب حقدهم وحسدهم ؛ عندئذ يفركون أجفانهم وقد أثقلها النعاس .

من الناس من تشدهم شياطينهم إلى أسفل فكلما تدهوروا على الدركات زادت أحداقهم توهجاً وتزايد شوقهم إلى ربهم . إن صوت هؤلاء المتدهورين يبلغ آذانكم .

أيها الفضلاء وهم يصيحون : ـ إن كل ما هو خارج عن كيانى إنما هو الله وإنما هو الفضيلة .

وهنالك آخرون يتقدمون مثقلين مقرقعين كأنهم عجلات تحمل صخوراً إلى الوادى ، وهؤلاء الناس لا ينون يتكلمون عن الفضيلة ، وما الفضيلة فى عرفهم إلا عبارة عن كابح عجلاتهم .

وهنالك قوم أشبه بالساعات يربط زنبركها فتسمعك تكتكتها وهم يريدون أن تدعى حركتهم الآلية فضيلة . إننى ألهو بمشاهدة مثل هذه الساعات لأننى ما صادفتها مرة إلا ربطت زنبركها بتهكمى وأكرهتها على تحريك رقاصها .

وهنالك المغترون بذرة من العدل ترتفع فيهم على جبل من الدعوى فتراهم يجدفون على كل شىء إلى أن يغرقوا العالم بظلمهم ؛ وما تخرج كلمة الفضيلة من أفواه هؤلاء الناس إلا وتحسب أنهم يتجشأونها ، واذا قال أحدهم : ـ لقد عدلت ، فكأنه يقول : ـ انتقمت .

هؤلاء من يريدون أن يفقأوا أعين أعدائهم بفضيلتهم وما يطلبون من الاعتلاء إلا إسقاط سائر الناس .

وهنالك أيضاً من يدب اليهم الفساد كأنهم ماء آسن فى المستنقعات ، يختفون بين المناصب منادين بالفضيلة كأنها جمود فى المستنقعات . فهولاء الناس يعلنون أنهم لا ينهشون أحداً ويتحاشون الالتقاء بالناهشين ، فاذا عرض عليهم أى رأى أخذوا به تفادياً لكل أخذ ورد .

وهنالك عشاق الحركات المعتقدون بأن الفضيلة نوع من الايمان فتراهم فى كل حين جاثين على ركبهم وقد قبضت إحدى راحتيهما على الأخرى تمجيداً للفضيلة وما يدرك قلبهم منها شيئاً .

وهنالك من يرون الفضيلة فى القول بلزوم الفضيلة وهم لا يعتقدون إلا بلزوم ردع الشر بالقوة .

وبعض من امتنع عليهم إدراك ما فى الانسان من صفات عليا لا يذكرون الفضيلة إلا عند ما يحدقون بما فيه من دنايا وهكذا لا تنشأ فضيلة هؤلاء القوم إلا من عيوب عيونهم .

من الناس من يطلب المعرفة وتقويم ما التوى فيه فيدعو هذه النزعة فضيلة ؛ ومنهم من يطلب قلب كيانه رأساً على عقب فيدعو هذه الرغبة فضيلة أيضاً ، وهكذا ترى الجميع يعتقدون بوجود الفضيلة فى ناحية من نواحى كيانهم وتراهم يتجهون إلى معرفة ما فيهم من خير وشر . غير أن زارا قد جاء

شاعر الاسلام محمد عاكف

للدكتور عبد الوهاب عزام

تتمــة

عرف قراء الرسالة الموضوعات التى عالجها الشاعر الكبير فى ديوانه « الصفحات » كما عرفوا من قبل مثلا من شعره . واليوم أقدم لهم مثالا من شعره الاجتماعى الذى يصور فيه الواقعات الصغيرة والحادثات الجارية التى لا يأبه لها الناس كثيرا ، وهى قطعة من الجزء الأول من الصفحات .

وينبغى أن يذكر القارىء ما ينال الشعر حين يترجم منثورا فيفقد كثيرا من روعته ، ولا سيما نظم عاكف الذى يذهب مثلا فى انسجامه وقدرته على تذليل كل موضوع أبى وكل معنى شامس .

كان أنصاره وخصومه مجمعين على أنه أوتى فى النظم قدرة تأبى على المحاكاة . وكان دعاة الأوزان التركية وأعداء العروض العربى يقولون لا يهزم هـذا العروض حتى يقتل محمد عاكف فهو حجة دامغة تفحم كل معارض . وما ظنك برجل يصف مصارعة فينطق الشعر بحركات المصارعين وأقوالهم فى بيان سلس ونظام لاشية فيه من التكلف

السفط

قبل خمسة عشر يوما غدوت على عادتى من دارى مبكراً ومحلتنا فى أطراف استانبول فليس يستطيع السير فى أزقتها إلا من يحسن السباحة ، ما تزال تعترض سبيله بحيرة مائجة بعد أخرى . فاذا أظلم الليل فليس إلا الصبر على اللأواء ، واحتمال ما يرمى به القضاء . لابد من قنديل فى إحدى اليدين واسقنديل فى الأخرى . هذه سبيل النجاة لا سبيل سواها

وكانت فى يدى هراوة أتحسس بها الطريق إن أصابت جزيرة وقفت ، وإن لقيت بحراً وثبت .

ويأوى دليلى الأمين إلى أطناف الدور العتيقة المتداعية ويلوذ بجدرانها فيصدم شيئاً ضخما . نظرت فاذا سفط كبير قديم . قلت سفط حمال . لمن هذا ليت شعرى ؟ ويقبل غلام فى الثالثة عشرة عامداً إلى السفط بعصا غليظة ، فما زال يرفع عصاه جاهداً ويهوى بها حرداً حتى تدحرج السفط خائراً منهوكا

ـــ « قد مات أبى تحتك وأنت لا تزال فى وسط الزقاق جاثماً متعجرفاً » ! ! وبرزت من دار أمامنا امرأة نَصَف :

ـــ ويلك يابنىّ ا-هلمّ إلىّ ، كفّ . إياك أن تحطمه . مالك وللسفط يابنى ؟ إنه أخرس لا فم له ولا لسان . لقد ارتفق به أبوك سنين ثمانيا ، وكان يقول إنه سفط مبارك ، فلما بقيت تحته بغير حمل . وقد ذهب أبوك فهو اليوم كاليتيم . وستعول به أمك وأخاك . أطفل أنت ؟ ألا تعرف ما عليك ؟

قلت : ـــ استمع يابنى إلى أمك

فصاح الصبى متجهماً : ـــ

« ياذا اللحية ألاعمل لك ؟ اذهب من هنا إلى جهنم . اذهب

إلى جميع هؤلاء المخادعين وإلى جميع هؤلاء المجانين ليقول لهم إنهم لا يعرفون عن الفضيلة شيئاً وان ليس فى وسعهم أن يعرفوها .

ما أتى زارا إلا ليشعركم بأنكم تعبتم من تكرار الأقوال القديمة التى علمكم إياها المخادعون والمجانين ، فينفركم من كلمات المكافأة والمقابلة بالمثل والعقاب والانتقام فى العدل ولتقلعوا عن القول بصلاح الأعمال عند تجردها عن الغايات

لتكن ذاتكم متجلية فى عملكم كما تنجلى الأم فى طفلها وليكن هذا التعبير ما تعرفون الفضيلة به .

والحق ، أنى انتزعت منكم كثيراً من أقوالكم وسلبتكم أعز ما تتلهون بمضغه عن الفضيلة ، ولذلك أراكم تزورون كالأطفال . وقد كنتم مثلهم تتسلون بألعابكم على الشاطىء فطغت موجة انتزعتها من بين أيديكم وحملتها إلى العباب ، فها أنتم تعولون الآن كهؤلاء الأطفال ، غير أن الأمواج ستكر راجعة حاملة اليهم ألعاباً جديدة ناثرة بين أيديهم الأصداف المخططة ، وأنتم أيضاً أيها الصحاب ستسلون مثلهم حين تأتيكم التعزية ناثرة بين أيديكم الأصداف المخططة .

هكذا تكلم زارا . . .

ما وقوفك هنا هاذيا فى هذه الغداة ؟ ان قلبى يشتعل . قد ذهب أب لى كالجبل

— ماذا تبغى الآن من رجل فى مقام أبيك ؟ اسمع يا بنى . .

— دعيه ياسيدتى إنه طفل ، أنا لا أبالى ما يقول .

— ما اسمك يابنى ؟

— حسن

— اصغ ياحسن . إنك ستضير نفسك بهذه الحدة . لقد احترق قلبى يابنى حين عرف مصيبتك ، ولكن أباك قد أوصى إليك وذهب . فانظر كيف جاهد هذه السنين الطوال ورباك بعرق جبينه ! وكذلك عليك ألا تترك أخاك يتيما . عليك أن تربيه .

— بالسفط ؟ أكذلك ؟

— نعم نعم . ماهذا الكلام يابنى ؟ أعار أن تعمل ؟ ثم أن تحمل الأعباء ؟ إنما العار الاستجداء ، إنما العار أن تسأل الناس ولك يد ورجل

— ما أصدق ما قال عمك ياولدى . قبل يابنى يد عمك .

— أنسيت سريعاً ماقالته امرأة جارنا ؟ ألم تقل : « ياحسن خالى ضابط فى إحدى المدارس . ولو كلمناه مرة لأخذك إلى المدرسة . انتظر ساكلمه »

فلا تعلمنى أنت واجعلنى فى هذه السن حمالا ! !

* * *

عرفت أن الحديث طويل وأنه سيزداد طولا وكانت مشاغلى كثيرة ذلك اليوم فتركتهما .

ليت شعرى ماخطب حسن المسكين اليوم ؟

لى بنية عرمة لاتستقر فى الدار . خرجت بها إلى الفاتح ، بعد العصر بقليل . فبينا ندخل من باب الفحامين راق البنية منظر الجمل ، تعجب من هذا البدن المعوج ، وذلك العنق المفرط فى الطول . وهذه الأرجل ، وهذا الذيل المعلق من خلفه ـ هذا الذيل أليس هذا كله عجيبا ؟

التفت ورائى فاذا على خطوات منا شيخ ربعة ، وضاء الوجه مشرق السيما . قد لف على وسطه شالا ، وعلى رأسه يابانية . وبجانبه صبى ينوء تحت سفط كبير . أقبلا يمشيان الهوينى . فواعجبا ! هذا هو الصبى الذى رأيته ذلك الصباح . .

أى مرأى ! مرأى يذيب القلب ويذهب باللب : رجلان هزيلتان عاريتان إلى الركبتين ، وبدن يرعد تحت ثوب رقيق يكاد يتجمد من البرد . وقدم حافية ، ورأس حاسر . لم تكن نفسا هذه اللهثات ولكن أنينا مديدا ، ولم تكن نظرا هذه اللمحات ولكن بكاء شديدا . ياله بؤسا حافيا حاسرا . وإنه لحسرة ذلك الجبين الجعد فى الثالثة عشرة .

* * *

ويخرج من المدرسة الرشدية أفواج من الطلبة قد انتظموا صفوفا . وساروا قليلا ثم وقفوا . ما أقسى هذا المنظر على قلب حسن التعيس ! أجل غلمان تفيض منهم نغمات النعمة والشباب يطير كل منهم إلى عشه السعيد . وسيفرغون للعب عما قليل . هؤلاء سعداء ، وأما حسن فسيحمل أبدا على كتف الفاقة هذا السفط المشئوم الذى ورثه عن أبيه ـ السفط الذى أراد أن يحطمه حين بصر به فى طريقه .

ليس هذا حملا ولكنه عقاب القدر لهذا البرىء

واحسرتاه ، ما ذنبه ، ماذنب هذا المعاقب الذى لا يدرى ما ذنبه ؟

عبد الوهاب عزام

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٠ — الطبيب أبو المنذر نعمان

قال ابن فارس : سمعت أبا الحسن السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى نعمان ويكنى أبا المنذر فقال فيه صديق لي :

أقول لنعمان وقد ساق طبه
نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض
« أبا منذر ، أفنيتَ فاستبق بعضاً
حنانيك بعض الشر أهون من بعض ! »

٥١ — قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها

قال الأصمعي : كانت امرأة من العرب تأتي بصبية لها كل يوم قبل الصبح ، فتقف بهم على تل عال وتقول : أيْ بنيّ ، خذوا صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها

٥٢ — لو رقد المخمور فيه لصحا

قال الثعالبي في (اليتيمة) :

قرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح ابن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرتَ ياأباعبد الله ، إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبّلتها ، فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المحموم فيه لصحا

فكان هذا مما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح . وكأنّ الوأواء قد سمع ذلك فنظمه في قوله :

سقى الله ليلا طاب إذ زار طيفه
فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يُستجلب الكرى
ولو رقد المخمور فيه أفاقا

٥٣ — الجندي العربي المجهول

في (عيون الأخبار) :

حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا فندب الناسَ إلى نَقْب [1] منه فما دخله أحد . فجاء رجل من عَرْض الجيش [2] فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد . فنادى أني قد أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال استأذن لي على الأمير فقال له أنت صاحب النقب ؟

قال أنا أخبركم عنه

فأتى مسلمة فأخبره فأذن له ، فقال له . إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً :

(١) ألا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة
(٢) ولا تأمروا له بشيء
(٣) ولا تسألوه ممن هو

قال : فذاك له

قال أنا هو

فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب

٥٤ — لا تظنوا أنني أسلو

أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف من شعراء الملك الناصر صاحب (مصر) والشام :

أنا من سكر هواهم ثمل	لا أبالي هجروا أم وصلوا
فبشعري وحديثي فيهم	زمزم الحادي وسار المثل
إن عشاق الحمى تعرفني	والحمى يعرفني والطلل
رحلوا عن ربع عيني فلذا	ادمعي عن مقلتي ترتحل
مالها قد فارقت أوطانها	وهي ليست لحماهم تصل ؟
لا تظنوا أنني أسلو فما	مذهبي عن حبكم ينتقل

٥٥ — الأب والابن والروح القدس

كان أبو نواس يوما جالسا وفي يده كأس خمر ، وعن

---

(١) النقب : الثقب جمعه نقاب وأنقاب
(٢) من عرض الجيش : من وسطه أو طرفه

يمينه عنقود، وعن يساره زبيب. فقيل له ما هذا؟

فقال: الأب والابن والروح القدس

٥٦ — ويرحم القبح فيهواه

قال جعفر بن قدامة: كنا عند ابن المعتز يوما ومعنا النميري، وعنده جارية لبعض بنات المغنين تغنيه وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية من القبح، فجعل عبدالله (أي ابن المعتز) يجمشها (١)، ويتعلق بها. فلما قامت قال له النميري: أيها الأمير، سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها؟

فقال عبد الله وهو يضحك:

قلبي وثاب إلى ذاوذا ليس يرى شيئا فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

٥٧ — يا كذاب!

قال رجل لامرأة: قد أخذت بمجامع قلبي فلست أستحسن سواك

فقالت: إن لي أختا هي أحسن مني وها هي خلفي. فالتفت الرجل فقالت: يا كذاب! تدعي هوانا، وفيك فضل لسوانا

٥٨ — هذه أنفاس ريا جلقا

قال ابن الكتبي في (فوات الوفيات):

قال بعضهم: مررت يوما ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال حمولها تفاح فتحي من الشام، فعبقت روائح تلك الحمول، فأكثرت التلفت لها، وكان أمامي امرأة سائرة ففطنت لما دخلني من الإعجاب بتلك الرائحة فأومأت إلي وقالت: هذه أنفاس ريا جلّقا (٢)

٥٩ — يا نسيما هب مسكا عبقا

قال السلمي الدمشقي المعروف بالبديع (وقد اشتهرت هذه الأبيات، وغنى بها المغنون):

يا نسيما هب مسكا عبقا هـــذه أنفاس ريا جلقا

كفّ عني (والهوى) مازادني برد أنفاسك الا حُرَقا

ليت شعري نقضت أحبابنا (ياحبيب النفس) ذاك الموثقا؟

يا رياح الشوق، سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غدقا (١)

وانثري عقد دموع طالما كان منظوما بأيام اللقا

٦٠ — لأجل هذا البيت الواحد

وفد أبو الفضل بن شرف بن برجة على المعتصم (صاحب المرية) يشكو عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التي مطلعها:

قامت تجر ذيول العصب والحبر
ضعيفة الخصر والميثاق والنظر (٢)

إلى أن بلغ إلى قوله:

لم يبق للجور في أيامهم أثر
غير الذي في عيون الغيد من حور

فقال له: كم بيتا في القرية التي تحرث فيها؟

قال فيها نحو خمسين بيتا

قال: أنا أسوغك جميعها لأجل هذا البيت الواحد، ثم وقع له بها، وعزل عنها نظر كل وال

---

(١) الجش والتجميش: المغازلة والملاعبة.

(٢) جلق (بكسر اللام وفتحها والتشديد) اسم دمشق قال حسان:

قد در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الاول

وفي (قاموس) المجد: جلق دمشق او غوطها

(١) الغدق: الماء الكثير.

(٢) (العصب): برد يصبغ غزله ثم ينسج. ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف اليه يقال برداً عصب وبرود عصب. وربما اكتفوا بأن يقولوا عليه العصب (المصباح، اللسان)



رسالة الشعر



وحي الربيع !

للسيد حلمي اللحام

فتنة الغوطة :

ماجت الغوطة الأنيسة بالحسـن وفاضت شذاً وسالت غناءَ
غمغماتٌ بين العشاش ، وهمس في زوايا الغصون يندى ولاء
ليتَ شعري ماذا تتمتمُ هذي الطيـ
ـرُ ، فوقَ الربا ، صباحَ مساء !
أترى أرسلَ النسيمُ نداءَ الحـبِّ في سرها ، فحنّتْ وفاءَ ؟
أم سرى العطر فاغماً فانتشت منـهُ وناحتْ ، رياضة الغناء !
أمْ حباها الربيعُ أحلى معانيـهِ ، فراحت تعيدها أصداء ؟!
وعلى أفيح المروج عذارى يرتشفن الأظلالَ والأنداء
ويصوِّرن في الضمائر أطيا ف هوى تترع الوجود رواء
ويغنّين هائمات نشاوى فيميد الروض الأغن اشتهاء !
ويدغدغن ذكريات أخي الحـب ، فيهوي فؤادُه إعياء ...

دنيا الشاعر :

شاعرٌ مرهفُ الشعور ، حنون اللحـ
ـنِ ، يهوى الخيالَ والأوهاما
عينه ترمقُ السماء فهل فا رقها حلمُها ، فهامت هياما ؟
أم سبى عالمُ الأشعةِ جفنيـها ، فحامت ترتادُ فيه مقاما !
قلبهُ جذوة من الحقِّ والنو ر تشع الهدى ، وتجلو الظلاما
إن غفا المجد أشعل الثورة الحمـراء ، كالشمس ، أو يذيب القتاما
أو تدجّى الفضا فتانك عينا هُ تكادان ترشفان الغماما
روحه مزهرٌ ينامُ على الأفـقِ كزهر لم ينفض الأكماما
كلما مسّتِ النسائمُ منه وتراً راحَ يرسل الأنغاما
أيها الشاعر الطروب املأ الدنيـا حبوراً وبهجة وابتساما
واسكب اللحن في النفوس كما يسـرب فيها صوت الحبيب مداما !

عالم الحبيب :

ياحبيبي أطلَّ من كوّة الغيـب وأشرق على الوجود صباحا
واسر في مقلتيَّ حلماً ضحوكا واهمِ في مهجتي ندى وسماحا
واذُو في خاطري نشيداً مرناً وابقَ في خافقي سناً لمّاحا
وأثر غافي الصبابات ، وانكأ ذكريات الصبا ، وأدم الجراحا
لا يسيل الغناء من مهجة الشـاعر إلا إذا استحرَّ نواحا
والأماني لا تجنح إلا بشجون الغرام : عزّت جناحا
واسقني من دم ابنة الكرم ، واسكب
في دمي من صدى غنائك راحا
وأرق من شعاع عينيك في رو حي ضياء ، ونشوة ، ومراحا
زرقة يسبغ الصفاء عليها من غلالاته الرقاق وشاحا
أنا منها في زورق يمخر اليمَّ ، وبدر السماء في الأفق لاحا

ضحكة الربيع :

ياحبيبي تعال نغنم صبا العمـر ، ونكرع كؤوسه والدنانا
ونغن الشباب أعذب ألحا ن التصابي ، ونطرب الأكوانا
ماترى ضحكة الربيع على السهـل ، وزهو الجواء ، والألوانا
نبضت بالحياة خضر التعاشيـب ، ورفّ الندى عليها جمانا
ألق يبهر العيون سناهُ وروى حلوة تفيض حنانا !
أي كف سمحاء نضّرت الأفـق . ووشّت وجه الثرى العريانا
أي سر في الزهر يبتعث الحـب ويحيي المنى ويذكي الجنانا

هو فى «رشف المحب كثغر الحـــب ، يرى فى فؤاده نشوانا
وهو فى ناظريه صورة طيف علق الطرف لحظة ثمّ بانا
ليتنا بلبلان يغمرنا الصفـــو ، ويوحى الهوى لنا الألحانا

غناء الحب :

أيها الحبُّ أنت فيض من الخلـــد يحيل الأسى الممضّ رغابا
أنت ومض الهدى على مهمه العيـــش، يضىء الشعاب والأسرابا
أنت لحن الحياة إن رَقرق الشد و عليها زهت وطابت رحابا !
غنّ هذى العِشاش تندَ صبابا ت ، وتنسج من الضحى جلبابا
وتردد فيها الحمائمُ والطيـــرُ أغانى الهوى رخاماً عذابا
غَن هذى الحقولَ تخضل أفيا ء ، وتهتز دَوحة وجنابا
غن هذى الأزهارَ تطرح الأكمـــامَ عنها ، وتنشر الأطيابا
غن هذى القلوبَ حتى تحس الشـــعرَ ، والحسن والمنى والشبابا
كل نفس لم ترتشف من حُميّا ك تخالُ الحياة سمّا مذابا
كل قلبٍ لم تجرِ فيه ينابيعـــكَ يبقى ، على الزمان ، يبابا

حلمى اللحام

أخرس ...!

للأســـتاذ عمر أبو ريشه

رفع الرأس للسماء وصلّى بدموع ترجرجت فى هدبه
بين شِدقيه مضغة عقلتها يوم ميلاده أنامل ربه !!
جرّدت عن لسانه لذّة النط ق وبثّت إعجازه فى قلبه
فإذا حبه يصول عليه وإذا بؤسه يعيث بحبه !

***

أخذت ثورة الكآبة تطغى بين حالى فؤاده ولسانه
ليس يسطيع أن يبث خليلا ما تقول الدموع فى أجفانه !
حمل العبء وحده كغريب ضلّ عن أهله وعن جيرانه
تتهاوى أشلاء آماله الغرّ تباعاً على خطا أحزانه
كيف يطوى سفر النعيم كئيباً والشباب الشباب فى ريعانه ؟ !

***

صفعت قبضة الذهول حجاه فانثنى فى الحياة حيران تائه
أشعث الشعر لوّح السهد خدّ يه وهزّ الشقاء من كبريائه
تلمح الفقر هادئاً فى زوايا مقلتيه وثائراً فى ردائه !
يسحب الساق متعباً كعليل هجر الدار قبل يوم شفائه
كلما جاشت اللواعج فيه أطرق الرأس غارقاً فى شقائه !

***

وقف العاشق الكئيب حزيناً يرقب الغادة الطهور إزارا
فتراءت إليه من بعد لأى فهفا لوعة وضج اصطبارا
فجثا باسطاً يديه إليها شاكياً بالدموع حباً مثارا
فرمته .. بدرهم .. وتوارت وسنا ثغرها يشع افترارا
رفع الرأس للسماء وأرغى ثم أبدى « مالست أدرى » وسارا !

عمر أبو ريشه

القبــرة

للأستاذ إبراهيم العريض

تحوّم فى أفق السماء أصيلا كنجم تراءى للعيون ضئيلا
فيتخذ الصوت الذى تستجدّه مع الريح فى رحب الفضاء سبيلا
يدق على الأسماع خافتُ جرسه فإن أعلنته الريح جاوزَ ميلا
وتدركه شيئاً فشيئاً غشاوة من الحزن حتى يستحيل عويلا

***

أقبرة ! هل أنتِ فى الجوّ قطعة من الحسّ سالت باللحون مسيلا
تغالين فى الألحان حتى إذا انتشت بها روحكِ الولهى خفتِّ قليلا
كما تخفتُ الأوتار بعد رنينها ويبقى صداها فى النفوس طويلا
فقد برأ الله الطبيعة ـ وهى لا تحس به ـ حتى بعثت رسولا
فأحسنت فى الترتيل حتى كأنما بآيِك ظلُّ الروضِ صار ظليلا
ولقّنتنا سرّ الجمالِ ولم نكن لندركَ لولاكِ الوجودَ جميلا
فإزهرة فى الروضِ تفتح جفنها على الدمع إلا وهى تنشد سولا
فتغرينها فى شجوها بابتسامةٍ ببثّكِ معنى للخلود جليلا

(البحرين) ابراهيم العريض



الزحف الاجتماعى

لم نكد نفتح هذه الفرجة لآراء الشباب نرى منها اتجاه موجاته ومنزع خلجاته حتى انثالت علينا رسائله الفتية تعرض مسائله، وتبحث مشاكله، وتصور هواه. وسننشر منها ما يستحق النشر، ونناقش ما يستوجب المناقشة، عسى أن يكون من وراء ذلك الطريقُ الذى يستقيم عليه الجهاد ونوفى منه على الغاية

كتب (شاب) مكتمل الشباب ناضج الفكر يقول:

قرأت مع الاعجاب كلمتكم البليغة فى مجلة الرسالة المحبوبة تعلنون فيها أنه يهمكم على الأخص أن تعرفوا رأى الشباب وتطلعوا على انفعالاته واتجاهاته وتبدون فيه رأيكم، فى أن واجب الشباب أن يستمر على صياله فى ميدان الكفاح السياسى.

ولسنا معشر الشباب نوافق على رأيكم فى أن الجيل الماضى قد أنهكه النضال فى المعركة الكبرى، ونعتقد أن قولكم هذا ناشىء من تواضع طبيعى، اذ أنكم من ذلك الجيل الماضى فلستم تريدون أن تستأثروا بالمفاخر كلها فتنازلتم عن المجد طواعية واختيارا. فإنا نرى أن ذلك الجيل الماضى قد أخذ على عاتقه أمانة قومية ثقيلة الحمل، ولا يزال قادرا على المضى فى سبيله رافعا علم البلاد موفقا إن شاء الله. ولا نزال نرى رجال هذا الجيل أمثلة نحتذيها ونسير فى آثارها إذ لابد للمعركة من قواد وجنود، فاذا كانوا هم القواد ونحن الجنود فليس ذلك بمنقص من مقدار جهادهم، لان جهاد القواد لا يقل فى عظمته ومجده عن جهاد عامة الجند. وإننا ندخر لمستقبلنا أن نكون فى آخر عهدنا بالجهاد قوادا عندما يجىء الوقت الذى يكون علينا القيام بالقيادة - وإنه ليقر أعيننا أن نتصور أننا نكون عند ذلك جديرين بالثقة والتقدير، ينظر الينا شبان عهدنا فيجدوننا لا نزال اخوانا مجاهدين متضامنين معهم فى القيام بالواجب

نرى أن الشباب يستطيع أن يؤدى واجبه الوطنى فى ناحية لا يستطيع أن يجول فيها رجال الجيل الماضى، فاننا أقدر على الاتصال بجمهور الشعب وأخف حركة وأقوى على احتمال المجهود الجسمانى الذى تطلبه الحركة المستمرة، ولهذا نرى أن من واجبنا هذا الاتصال بالجمهور لكى نعمل على نشر المبادىء السياسية السامية والعمل على تنوير الشعب وتثقيفه وتنظيم ما يحتاج إلى التنظيم من حياته العامة.

ويستطيع شبان البلاد ولا سيما طلبة المدارس والكليات أن ينتشروا فى الريف والمدن فى أثناء العطلة الصيفية ويقوموا على إنفاذ برنامج وطنى شامل، وأقترح لهذا أن تقوم دعوة واسعة على تكوين جمعية منظمة من هيئات الطلبة والشبان لتنظيم البرنامج الذى يقوم الشبان على انفاذه؛ وأعتقد أن شباب البلاد إذا تضافر فى مدى خمسة أعوام يسميها (أعوام الزحف العام الاجتماعى) على أن يغزو أطراف الريف والمدن بدعاية تهذيبية واقتصادية قوية أمكن أن تخرج البلاد بعد تلك الأعوام الخمسة بفائدة عظمى تساعد أكبر المساعدة على جعل استقلالنا حقيقيا بكل معنى الكلمة، ونكون عند ذلك قد قمنا بحمل الواجب مع الكتلة الوطنية المخلصة.

فارسل اليكم هذه الدعوة لعلها تصادف قبولا عند إخوانى الشبان وأسأل الله أن يوفقنا جميعا إلى خدمة بلادنا التى نرجو أن تتضامن على خدمتها كل الصفوف وكل الأجيال

(شاب)

اعتراض الشاب الفاضل وجيه واقتراحه أوجه ؛ ورأيه يستحق النظر المتقصى والبحث المفصل . وسنعود إليه فى العدد المقبل فنناقش الوسائل إلى تنفيذه

السياسة فتوة هذا العصر

وكتب إلينا الأديب صاحب الإمضاء يقول :

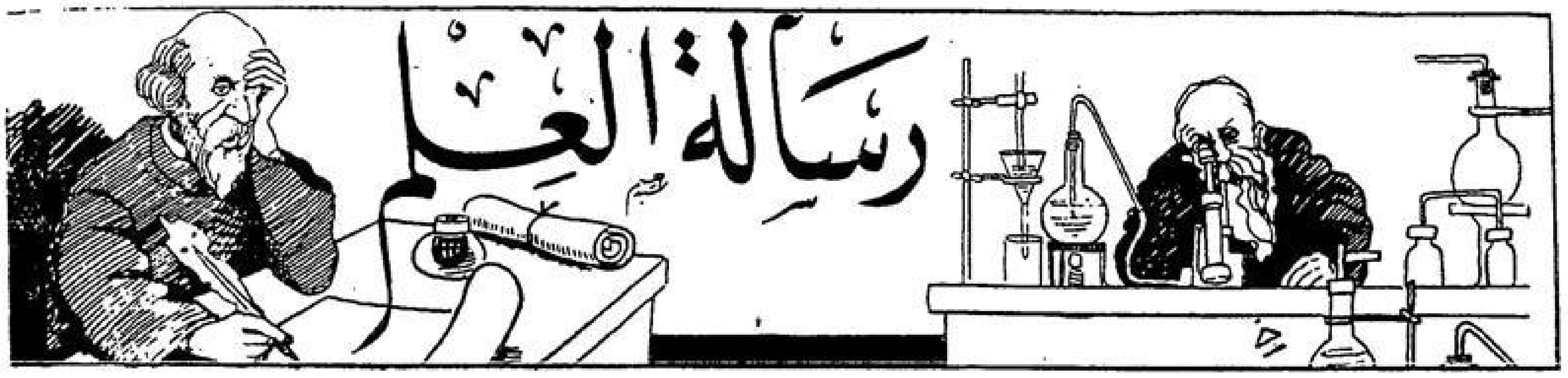
... يظهر مما كتبتموه فى العدد الماضى أنكم ترون دخول الشبان فى الميدان السياسى ، وفى هذا على ما أظن توجيه لجهوده فى طريق غير مأمون ولا موصل . إذا كان واجبنا الأعظم فى الحياة أن نقدم للمجتمع خير ما نستطيعه من إنتاج فلماذا لا نصرف هذا النشاط المتدفق إلى ميادين العلم والأدب والفن والاقتصاد فيؤتى أكله وينتج ثمره ، وندع السياسة لأهل الرأى من شيوخ الأمة الذين مارسوها واضطلعوا بها وعرفوا مداخلها ومخارجها ؟ — إن السياسة خطمت كثيراً من المواهب الصالحة ، وجرف تيارها كثيراً من العناصر النافعة ، فهلا ترون أن يكون شباننا كشبان إنجلترا لا يسمعون بالسياسة إلا بعد أن يقطعوا أكثر مراحل الحياة وتمرسوا بكل عمل من أعمال الأمة ؟ إن الموضوع فى نظرى يحتاج إلى إثارة المناقشة ومعاودة البحث فلعلى أكون المخطىء ، ولعلى أكون المصيب ...

العباسية — محمد زهدى ناصر

* * *

ربما كان رأى الكاتب الفاضل يستقيم إذا كانت مصر كإنجلترا فى شدة بنيانها وثبات دعائمها وقوة مجتمعها ونضوج أحزابها واطراد سياستها ، ولكننا نعيش فى شعب ناشىء لا يزال يصارع أطماع القوة من الخارج ، وعوامل الضعف من الداخل ؛ وما دامت القلوب خانعة والنفوس قانعة والطرق وعرة والاحداث راصدة ، فإن العمل السياسى أو التوجيه القومى يبقى أول الواجبات وأنبل الأعمال على الشباب . أن الشاب هو أجلد على انتجاع الطريق المخوف ، واكتشاف الموضع المجهول ، ومواجهة العدو الكامن ، وإيقاظ الشعور الخامد ؛ ولا يهمه أن يحترق وهو يضىء ، ويغتال وهو يهدى ، ويسقط وهو يدافع . ولا ريب أن الشيوخ أنضج رأيا وأنفذ بصيرة وأوسع ثقافة ولكن الشباب هم الأيدى التى تنفذ ، والروح التى تنشط ، والأجنحة التى تطير ، على أن السياسة التى نريدها للشبان أوسع وأشمل مما يتصوره الكاتب الفاضل ؛ فالسياسة دعوة وتدبير وقيادة ، وقوى البلد المادية والأدبية معطلة من طول الإغفاء والترك ؛ والاحساس الشاب هو وحده الذى يستطيع أن يحرك فى طبقات الشعب هذا الجمود المزمن بالدعوة الصارخة ، والارشاد الصالح ، والقدوة الحسنة . ان السياسة هى فتوة العصر الحديث فى الأمم الحديثة ؛ وإن الأمم الأوربية التى أضعفها انحلال الخلق . أوفتكت بها أدواء الحرب ، لا يجدد الآن مارث منها ولا يحيى ما مات فيها إلا الشباب

قد يكون صحيحاً أن الشباب لو انصرف إلى الاختصاص فى العلم لجاء بأعظم المخترعات ودون خير المؤلفات ؛ ولو كتب فى الأدب لخلد اسمه بين أعلامه ؛ ولو مارس الفن لتألق نجمه فى سمائه ، ولكن أى علم يفيد أكثر من هذا الذى تنير به للشعوب المغلوبة طريقها إلى الحرية والمجد ؟ وأية قصة تكتبها أروع من هذه التى تكون أنت أحد أبطالها ؟ وأية قصيدة تنظمها أبلغ من أن تكون مثال التضحية ؟ وأية صورة ترسمها أجمل من هذه الجموع البائسة تعمل على نقلها من حال البؤس إلى حال النعيم ؟ وأى طب أنفع من طب الجوع ؟ وأى تدوين للتاريخ أتم من أن تصنع التاريخ ! قل معى : حيا الله السياسة وأدامها فتنة للشباب !



قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

مراقب مصلحة الكيمياء

كان حظ ارليش من التوقر والرزانة حظ الفقير المعدم ، وذلك من حيث سلوكه ومن حيث آراؤه سواء سواء . أما من حيث سلوكه فكان يرسم صوراً من نظرياته فى أى مكان اتفق على كم قميصه وعلى نعل حذائه ؛ وكان يرسمها على صدر قميصه فتصرخ زوجته ، أو على صدر قميص صاحبه إذا خان الحظ هذا الصاحب فلم يستطع أن يفلت قبل أن تقع الواقعة . انعدم فيه الحس بالذى يليق والذى لا يليق فكان كولد صغير أولع بالأذى . أما من حيث آراؤه فكان يقضى الأربع والعشرين ساعة التى يحتويها اليوم يتخيل الأسباب الغريبة المستحيلة ليفسر كيف يتحصن الانسان من الأدواء ، أو كيف نقيس الحصانة ، أو كيف تنقلب الصبغة إلى رصاصة مسحورة ؛ وخلف وراءه صوراً من هذى الخيالات تجدها فى كل بقعة وناحية

وبالرغم من هذا كان أدق الناس فى التجارب التى يجربها وكان أول من رفع عقيرته بالتسخط على صيّاد المكروب لتخبطهم فى طرائق للبحث مهوشة ولتوقعهم كشف الحقائق العاصية بمجرد سكب شىء من هذا على شىء من ذاك . وفى طلب الدقة قتل إرليش فى معمل كوخ فى تجربته خمسين فأراً حيثما كان يكتفى من قبله بقتل فأر واحد ، وذلك لاستخلاص قوانين بسيطة سهلة تتعبر بالأرقام فى سهولة خال أنها تفسر لغز الحصانة وسر الموت والحياة . وهذه الدقة التى لم تنفعه فى حل هذه الطلاسم أعانته أخيراً على اصطناع رصاصته المنشودة

— ٣ —

هكذا كان إرليش مرحا فرحا متواضعا لا يفتأ يجد النكتة عن نفسه ، ويولد الفكاهة من سخافته فينطلق بها لسانه غير باسم ولا هازل . وبهذا كسب الأصدقاء كسبا هينا . وكان ماكرا ، فقصد إلى أن يكون بعض هؤلاء الأصدقاء من ذوى الجاه والنفوذ . ولم يلبث أن صار في عام ١٨٩٦ مديرا لمعمل استقل به وحده ؛ وكان اسمه المعهد البروسى الملكى لامتحان الأمصال ومكانه فى استجلتس Steglitz بالقرب من برلين ؛ واحتوى على حجرتين صغيرتين كانت إحداهما مخبزا وكانت الأخرى اصطبلا . قال إرليش : « إننا نخيب لأننا لا نتوخى الدقة فى أعمالنا » ، يشير بذلك إلى خيبة بستور الصغرى فى ألفحته ، وخيبة بارنج الكبرى فى أمصاله . وألح يقول : لا بد من وجود قوانين رياضية تجرى على سننها هذه الأمصال وهذه السموم وأضدادها » . وظل هذا الرجل يضطرب مع خياله غاديا رائحا فى هاتين الحجرتين المظلمتين مدخنا مفسرا مجادلا معاتبا مدققا فى القياس ما أمكنته الدقة ، بين قطرات من أحسية مسمومة وأنابيب مدرجة مقدرة من أمصال شافية

نعم لا بد من قوانين ! ويقوم على تجربة يؤديها . ويخرج من التجربة على نتيجة باهرة ، فيقول : « أتعلمون لم كانت هذه النتيجة هكذا ؟ » ، وإذا به يخطط صورة غريبة للسم تخبر عن مظهره كيف يكون ، وإذا به يخطط صورة أخرى لخلية الجسم تنبىء عن مظهرها الكيماوى كيف يجب

أن يكون . ويستمر يعمل ، وتستمر ألوف الخنازير الغينية تسير إلى موتها صفاً صفاً ويجد أن ما يختلف مع نظريته البسيطة من النتائج أكثر مما يأتلف بها ، فلا تروعه هذه الاستثناءات لقاعدته ، ويَدِرّ عليه خياله الخصب فيخترع قواعد أخرى تتولى أمر هذه الاستثناءات . ويخطط فى سبيل الشرح صوراً أغرب وأعجب . إلى أن وصل إلى نظريته الشهيرة عن الحصانة المعروفة بنظرية السلسلة الجانبية (١) Side chain Theory فصارت أحجية مُغلقة لاتكاد تفسر شيئاً ولا تَقدر على التنبيء بشيء . وظل إلى آخر أنفاسه يعتقد بصدق هذه النظرية السخيفة . ودقها النقّادون دقا من كل جانب وفى كل بقعة من بقاع الأرض ، وظل متشبثا بها . وإذا أعوزته التجربة فى الرد على منتقديه وإفحامهم بالحجة لجأ إلى المكابرة والماحكة ، وكان يدفع عن نظريته فى المؤتمرات الطبية فينهزم فيها فيخرج منها يسب خصومه علانية وهو فى طريقه إلى البيت ، وفى الترام يرفع عقيرته بالسباب وهو فرح منبسط ، فيغضب الكمسارى فيعيد السباب تكرارا يتحداه به أن ينزله من الترام إذا هو استطاع

ولما جاءت سنة ١٨٩٩ كان إرليش بلغ عامه الخامس والأربعين . فلو أنه مات عندئذ لأدخله التاريخ فى زمرة الخائبين . فكل المجهود الذى بذله فى البحث عن قوانين تجرى عليها الأمصال لم يجنه إلا بصور من نتاج الخيال لم تقنع أحداً ، وهى على كل حال لم تفد شيئا فى سبيل تقوية أمصال ضعيف أثرها فى العلاج . خاب ارليش فما الذى هو صانعه بعد هذا ؟ وفكر وخطط ، ثم اتصل ببعض من عرف من رجال ذوى جاه وسلطان ، فمالقهم وداهنهم وسلب ما أراد من عقولهم ، وإذا بك تجد خادمه الأمين الثمين ، السيد المحترم قدريت ، قضّاء الحاجات من كل ماهب ودبّ ، إذا بك تجده قائما فى معمل سيده فى استجليتس يحل أجهزته للرحيل عن برلين ومدارسها الطبية وجلبتها العلمية إلى مدينة فرنكفورت على نهر المين . وتسألنى ما الذى جذبه إلى هذه المدينة ؟ إن الذى جذبه إليها أن بقربها تلك المصانع الشهيرة التى يخرج فيها أعلام الكيمياء تلك الأصباغ الجميلة الشتيتة العديدة عدا لا يناله الحصر ، الجميلة جمالا لا يؤديه الوصف ، فكأنها باقات الزهر ازدهاراً وابتساما . وجذبه إليها أن بها أغنياء من اليهود عُرف عنهم حب المجتمع وسهولة بذل الذهب فى خيره . والذهب والذكاء والحظ والصبر أمور أربعة يراها إرليش لازمة لنجاحه فيما قصد إليه . وإذن جاء إرليش إلى فرنكفورت ، أو على حد قول السيد المعظم المحترم النافع قدريت : « جئنا إلى فرنكفورت » : ويعلم الله ما عانى قدريت فى نقل تلك الأصباغ والمجلات الكيماوية المتناثرة بما فيها من هوامش كتبها إرليش وما بصفحاتها من طيات كان يطويها عليها ليرجع بها إليها

أظنك أيها القارىء تخرج من قراءة قصة المكروب هذه على أن صيادة الميكروب القوية لا يصلح لها إلا نوع واحد من البُحّاث ، باحثٌ يعتمد على نفسه وحدها كل الاعتماد ، باحث لا يلقى بالا إلى ما يجده غيره من البُحّاث ، رجل يقرأ الطبيعة ويعاف الكتب . إذن فاعلم ان إرليش لم يكن هذا الرجل ، فانه قل أن نظر فى الطبيعة إلا أن تكون

(١) نظرية السلسلة الجانبية نظرية ابتدعها إرليش لتفسير الحصانة والشفاء . وقد اقتبسها من الكيمياء العضوية لا سيا من المركبات البنزينية حيث يتركب المركب من نواة بنزينية ثابتة تتصل بها مجموعات جانبية من العناصر تسمى بالسلاسل الجانبية هي مناشط التفاعل الكيميائى وهى المراكز الامامية التى ينال بها المركب غيره من المركبات فيتفاعل معها . قال إرليش إن خلايا الجسم تتركب من الوجهة الكيميائية من نواة هى أصل الخلية تخرج منها سلاسل جانبية عديدة كأذيال الصوت . فاذا دخل مكروب إلى الجسم لوثه بسمه . وهذا السم مركب كيميائي فاذا جاء إلى الخلية من خلايا الجسم جذبته سلاسلها الجانبية فاتحد بها اتحادا يميت الخلية ويفقدها وظائفها الطبيعية . وهذا هو المرض فالموت . ولكن الجسم بطبيعته يدافع للحياة . وطريقته فى ذلك على زعم إرليش أن خلية الجسم إذا اتحد السم بسلاسلها حاولت أن تنزع عن نفسها السم بالسلاسل التى ارتبط بها . ثم هى تخلق من نواتها سلاسل جديدة . ولكن بحكم قانون معروف إذا فقد الجسم عشر وحدات من شىء قامت حيويته تستعيض عنها بأضعاف ما فقدت ؛ وإذن تستعيض الخلية بأضعاف ما فقدت من السلاسل الجانبية وتطلق الزائد منها فى الدم فيلتقط السم السائح فيه فيتحد به ويذهب بشره فيكون الشفاء . والانتيتكسين الذى يعرفه الطب ، أى أضداد السم التى يخلقها الجسم لحماية نفسه ، هى هذه السلاسل الجانبية الزائدة نتيجة رد الفعل لافتقاد الخلايا سلاسلها الأولى (المترجم)

ضفدعته المختارة التى حفظها فى جنينته فأعانته باختلاف مناشطها على التنبؤ بالجو ما سيكون — وهذه الضفدعة تولى أمرها السيد قدريت . فكان أول واجباته أن يأتيها بكثير من الذباب . . . . . لا ، لم يكن إرليش يقرأ الطبيعة بل يقرأ الكتب ومن هذه جاء بكل أفكاره

عاش بين الكتب العلمية ، واشترك فى كل مجلة كيماوية تخرج فى لغة يقرؤها ، وفى مجلات أخرى تخرج فى عدة لغات لم يكن يقرأها . وتبعثرت الكتب فى معمله وانتشرت ، فكان يجيئه الزائرون فيقول لهم : «تفضلوا فاجلسوا» ، فاذا نظروا حولهم لم يجدوا موضعا يجلسون فيه . وكانت المجلات تطل من جيوب معطفه ـ هذا إذا تذكر ولبس معطفا . وتدخل الخادمة بالقهوة اليه فى الصباح فتتعثر فى أكوام من الكتب لا تفتأ تكبر يوما عن يوم . فهذه الكتب والسجائر الكبيرة الغالية استعانت جميعا على إفقاره . وتراكمت الكتب أكواما على أريكة مكتبته فعششت الفئران فيها . وكنت تجده إما قائما فى تلوين باطن حيواناته بأصباغه وتلوين ظاهر نفسه بها ، وإما قاعداً ينظر فى هذه الكتب . وكل ذى بال تجده فى هذه الكتب تجده فى رأس إرليش ينضج ويختمر ويستحيل إلى تلك الآراء الغريبة البعيدة ، ثم تظل مخزونة هناك حتى تستخرجها الحاجة . هكذا كان إرليش يأتى بآرائه . وإنك لن تستطيع أن تتهمه بسرقتها من آراء غيره ، فانها بين دخولها رأسه وخروجها منه تنطبخ انطباخا يفقدها كل معالمها الأولى

وجاء عام ١٩٠١ فبدأ العام الأول من أعوامه الثمانية التى قضاها يبحث عن رصاصته المسحورة . فى هذا العام قرأ أبحاث ألفنس لفران Alphonse laveran وهو إن ذكرت الرجل الذى كان اكتشف مكروب الملاريا . وكان لفران أخذ فى هذه الأيام الأخيرة يشغل همه بالأحياء الحيوانية الصغيرة المسماة بالتريبنسومات (١) Trypansomes

(١) هى أحياء حيوانية من البروتوزوات . ومعنى اللفظة باليونانية الجسم اللولبى . وهى أنواع تتطفل فى الدم ومنها ما يصيب الانسان ويسبب له أمراضا مختلفة منها مرض النوم (المترجم)

وكانت تدخل إلى الخيول فتعيث فى مؤخرها وتصيبها بالداء المعروف بمرض الورك Mal de Caderas . وكان لفران حقن هذه الشياطين المزعنفة فى الفئران فوجدها تقتل من المائة مائة . وجاء ببعض هذه الفئران وهى تعانى المرض فحقنها بالزرنيخ تحت جلدها فوجد الزرنيخ قد أفادها بعض الشىء وقتل كثيراً من التريبنسومات التى تعيث بالفساد فيها ولكنه مع ذلك لم ينج منها فأراً واحداً . وإلى هذا الحد وقف لفران

وما عتم إرليش أن قرأ هذا حتى صاح : «هذه فرصة عظمى . هذا مكروب أنسب ما يكون للبحث ، فهو كبير يرى فى سهولة ، وهو يربى سهلا فى الفئران ، وهو يقتلها دائماً فلا يخيب مرة واحدة . فأى مكروب خير من هذا فى البحث عن الرصاصة المسحورة التى تقتله ! فمن لى بصبغة تقدر على شفاء فأر واحد لا أكثر شفاء شاملا كاملا ! »

(يتبع) أحمد زكى



من القصص العربي

ثقيل ما أظرفه

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

قال الفتى لصاحبه وهو يقص عليه تاريخه ويروى له من حوادثه : لقد نشأت ياصاحبي في البصرة ، وقد كان والدي من أمجاد البادية ، وأجواد العرب ، قضت عليه شؤون الدنيا بالنزوح إلى ذلك المصر ، يوم أن شب على جدرانه النعيم ، وأشرقت في محلاته(١) أنوار الحضارة ، فنسلت إليه صنوف الناس من كل حدب ، وفيهم طالب الكسب بالتجارة ، والراغب في العلم بالتعلم ، والطامع في الصلة بالشعر ، والحريص على متاع الحضارة بالبذل ، ولست أدرى لأي أمر من هذه الأمور نزح والدي عن موطنه ، ولكنى أدرى أنه ما كان في حاجة إلى مال ، ولا هو من أهل الرغبة في العلم ، فلعله كان لا يطمع إلا في نعيم الحضارة الوارف ، يروى به جسمه ويمتع به نفسه . على أني سمعت بأنه كان مطلوباً بدم في إحدى القبائل فربما كانت هجرته فراراً من العدو وخوفاً من الانتقام

وليس تحقيق هذا مما يعنيني ، وإنما أريد أن أقول لك : إن والدي لم يعرف للحضارة أساليبها ، فعاش في حياته الجديدة على أوضاع الحياة القديمة ، فالامتهان في نظره مهانة ، والعمل في تقديره ذلة ، والمال في يده شيء حقير تافه يبذره باسم الجود ، ويسرف فيه بلفظ الانفاق ، ففي كل عشية له مجلس عامر بالغناء والشراب ، وفي كل ضحوة سامر حافل بالإخوان والأصحاب ، وبين هذه وتلك موائد ممدودة ، وولائم قائمة ، كأن أيام عندنا عرس دائم ، فكان أن درجت في أعطاف هذا البذخ ، ومررت على هذه الحياة اللاهية المسرفة حتى كنت فتى يافعا ولم تعرف الأيام منى غير اللهو المسرف ، والتبذل المفرط ، والبطالة المستهترة . ليس في تفكيري أن أعمل ، بل ليس من همي إلا أن أشبع الجسد من لذائذ الحضارة ومتاعها الموفور .

ومضت السنون بعضها في أعقاب بعض ، ونحن على هذه الحال من السرف والبطالة ، وكان لابد للمعين أن ينضب ، فقل المال الكثير ، وتضاءلت الثروة الضخمة ، ولم يلبث والدي أن مات بعمره ، وإذا كان لي أن أنسى فلن أنسى ما حييت يوم أن عدت من قبره أتكسر على نفسي كما يعود القائد المخذول من ساحة الحرب ، أحصى المال المتروك فلا أقع على شيء ، وأتلمس الأصحاب فلا أقف لهم على ظل ، وأنظر إلى نفسي فأجدني كالآلة المعطلة لا أصلح لشأن من شؤون الحياة ، حتى ليرهقني سد الرمق في مجتمع صاخب عجاج يتدافع أهله بالمناكب في طلب الرزق ، ويقتتلون على الفوز باللقمة الحقيرة ، وأن من الصعب على نفسي أطلب العيش من مروءات الناس ، وأن أقيم الأود من فضلهم ومعروفهم ، لأن ذل السؤال صعب على نفس يجرى في عنصرها إباء البادية ، وتكتنفها كرم النشأة ، وقد قيل : إن من طبع الكريم أن يخفى عسرته ويكتم شدته :

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا
والوجه غمر بماء البشر ملآن

ويعلم الله لقد كتمت ما استطعت ، وصبرت حتى أرهقني الصبر وكنت كل يوم أؤمل في غد فلا يكون الغد إلا أشد . آه ياصاحبي لشد ما ضمني الدهر ضما لا رحمة فيه ولا شفقة ! ولشد ما عركتني الأيام عرك الرحى بثفالها كاية ولون ! ولا أكتمك أني فكرت في الخلاص من ذلك بالموت ، ولكني خفت أن يقول الناس في شأني : جبان فر من معركة الحياة ، ومارق تمرد على حكم القدر ؟ وعملت على أن أصل نفسي بموطن العشيرة في البادية ، ولكني تذكرت الدم الذي كان مطلوبا به والدي فخشيت الهلاك من تلك الناحية ، لأن البدوي حريص على ثأره مهما طال به الزمن ، حتى ليطلبه في الأجيال المتعاقبة

فلما اضطرب بي الفكر ، وتبلبل مني الخاطر ، سألت صاحباً

(١) جمع محلة وقد كان العرب يقسمون مدنهم إلى محلات وأخطاط كما تقسم مدننا إلى أحياء

من أهل الرأى لعله يشير بما ينفع ، فقال لى : لو ذهبت فتسببت . فقلت : مالى صناعة ، ولا عندى بضاعة ! فقال : على كل حال : انك امرؤ فيك ظرف ، ولك لطف ، وانك لوانحدرت إلى بغداد لاتعدم لك فى مجالسها السامرة ، وأنديتها الساهرة . فرأيتها نصيحة نافعة من الرجل ، وقلت لعل الأخذ بها يجدى ، فانى أحفظ عن والدى شيئاً من طرائف الأعراب وقصص البادية . ولقد أكسبتنى الحياة السالفة دراية بأداء الحديث ، اختار له موضعه ، وأخرجه مخرجه ، وأعرف كيف أصل به إلى نفس السامع ، وأستطيع أن أجزى النادرة الطيبة فاهز القلوب وأحرك المشاعر . على أنى قدرت فى ذلك السفر منأى يسترنى عن اخوان أكتم عنهم حالى ، ويخجلنى أن يرونى أتدنى فى طلب الرزق ، فعزمت على تحقيق الفكرة ، ولم يبخل على الرجل بزاد السفر ، وسرعان ما كنت فى الركب السائر والقافلة الراحلة .

هبطت بغداد يا أخى أجهل ما أكون بمسالكها ومحلاتها ، وأخذت فى السير على هدى السابلة ، وإرشاد المارة ، حتى انتهيت إلى دارة الخلافة ، ونزلت بدار الضافة ، وكأن نحس الطالع قد سبقنى الى ذلك البلد الأمين ، إذ علمت أن الخليفة المأمون قد حرم الغناء وشدد فيه ، وأمسك على الناس أبواب اللهو والاستهتار ، فانفضت الملاعب والمشاهد ، وأعتمت الأندية والسوامر ، وصار ليل المدينة ليلا محلولكا مملولا ، لا يرن به طاس ولا يحن فيه مزهر ، فأيقنت بنحس السفرة وحبوط المسعى ، وتمثلت لى الدنيا فى مثل كفة الحابل ، وهانت على النفس العزيزة ، إذ لم أجد أمامى طريقا للعيش غير التساقط على بيوت أهل الفضل والخير ، أتدسس إلى موائدهم ، واتقحم على ولائمهم ، وأنف فى طريقهم ، وأجرى فى ركبهم ، فلم تمض أيام حتى كنت قد وقفت على جميع اعيان المدنية ووجوه القوم ، وعرفت مراتبهم فى الجود والخير ، وتبينت اساليبهم فى الحياة ونظام العيش ، وعرفونى هم كذلك متطفلا بغيضاً وفضوليا ثقيلا !.

فانى لفى يوم خرجت فيه إلى الجسر (١) ، علنى أجد أميراً أتبعه ، أو كبيراً أمتاح من فضله ، فلم أذهب غير بعيد حتى رأيت إسحاق الموصلى يتحدث إلى على بن هشام بكلام يخفيه ، فأرهفت أذنى أتسمع فسمعته يقول : لقد زارتنى اليوم فلانة يا على ، وهى كما تعلم من أحسن الناس غناء ، وأطيبهم محضراً ، فبحياتى إلا كنت اليوم عندى ، فنجلو السمع ونمتع القلب ، وننتهزها فترة من فترات العمر التى حرمناها ، ونعيدها ذكرى من ذكريات الأيام الماضية ، فوعده بالحضور ومضى كل لسبيله . فقلت فى نفسى : يا لها من فرصه سانحة لابد أن أحتال فى اغتنامها ! وأخذت أفكر وأقدر ، وأسعفتنى الفكرة بالحيلة النافذة ، فملت إلى من أعارنى الزى النبيل والمركب الفاره ، ومضيت إلى منزل على بن هشام فقلت لحاجبه : عرف الأمير أن رسول صاحبه اسحاق الموصلى بالباب ، فدخل الحاجب وخرج مسرعا يحمل الأذن بالدخول ، فدخلت على على فرحب بى أجمل ترحيب ، فقلت له : صاحبك إسحاق يقول لك إنك تعلم ما اتفقنا عليه فلم تأخرت عنى ؟ فقال : الساعة وحياتك نزلت من الركوب ، والساعة أغير ثيابى وأوافيه ، فامهله قليلا وإنى على أثرك .

فاستويت على دابتى ، ووافيت منزل اسحاق ، فقلت للحاجب عرف الأمير أنى رسول على بن هشام ، فدخل الحاجب وخرج مسرعاً يقول : ادخل ياسيدى جعلت فداك ، فدخلت فسلمت ، فنهض إلى إسحاق فى بشاشة ، فقلت : أخوك على يقرئك السلام ، ويقول لك الساعة نزلت من الركوب ، وقد غيرت ثيابى وتأهبت للسير تحقيقا لوعدك فماترى ؟ فقال : قل له ياسيدى قتلتنا جوعاً ، ونحن من انتظارك على أحر من الجمر ، فبحياتى إلا ما أسرعت

فعدت إلى منزل على ، وقلت للحاجب عرف الأمير أن صاحبه أمرنى أن لا أبرح أو يجيء ، فقد طال عليه الانتظار ، وأضر به الجوع . فاسرع على فغير ثيابه ، وركب دابته ، وسار وسرت من خلفه ، حتى نزل بباب إسحاق فنزلت معه ، وبعد السلام أخذنا مكاننا على المائدة . وإسحاق لايشك أنى أخص الناس بعلى ، وعلى لايشك أنى أخص الناس باسحاق ، فبالغ كل فى إكرامى وإيثارى باللقمة الشهية ، والهبرة الوثيرة . ولما قضينا حق الخوان أو حق البطن انصرفنا إلى الشراب ، وخرجت إلينا جارية كأن بشاراً كان ينظر إليها من وراء الغيب إذ يقول :

تلق بتسبيحة من حسن ماخلقت ... وتستفز حشا الرائى بأرعاد
كأنما صورت من ماء لؤلؤة ... فكل جارحة وجه بمرصاد

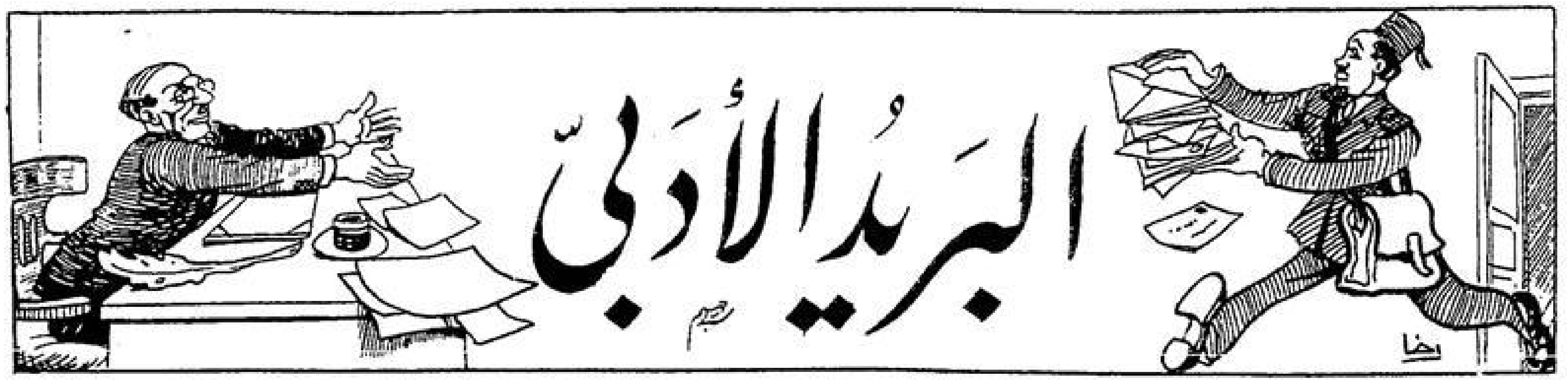
ولم تلبث أن حملت عودها وغنت صوتاً فعلت فيه ما أحل الله وحرم ، ودارت الأقداح ، فشعشعت القلوب ، وايقظت العواطف وأفعمت النفس بالصفو والأنس ، وبقينا فى هذا حتى هم النهار بالتصرم ، وألح على البول فنهضت إلى الخلاء ، فسمعت علياً يقول لإسحاق : ألاما أخف روح هذا الفتى ياسيدى وما أطيب نوادره ! فمن أى وقت كان لك ؟ فقال اسحاق : أوليس هو بصاحبك ؟!

(١) هو جسر بغداد المشهور وقد كان للشعراء مسرح الهوى وله فى الشعر ذكر كثير

قال : لا وحياتك ولا أعرف أنى رأيته قبل اليوم ، وأنه جاءنى برسالتك يستعجلنى للحضور وقص قصته فى ذلك ، وقص اسحاق مثلها ، وداخله من الغيظ ما لم يملك معه نفسه ، فقال : أنها لكبيرة ياصديق على النفس ، طفيلى يستجرىء على فيستبيح النظر إلى حرمى والدخول إلى دارى ! أبلغنا من الهوان إلى هذا الحد ، وبلغت الصفاقة بهذا وأمثاله إلى هذا القدر ؟ والله لا بد أن أنتقم . وسأعرف كيف أصون بيتى من كل رذل ثقيل . ياغلمان ! السياط والمقارع . أعدوا عدتكم ، واحشدوا جمعكم . وقامت فى الدار جلبة ارتجت لها الجدران ، وارتاعت لهولها الجيران ، وكل هذا وأنا فى الخلاء أفكر وأقدر ؛ وكانت عزيمة صارمة ، إذ خرجت على القوم فى ثبات واطمئنان ، كأنى لا أعبأ بأمرهم ، ولا أحفل بشأنهم ، وأقبلت على اسحاق فقلت : وماذا بقى من جهدك بعد ذلك ؟ ألا ويل لك يا رجل ثم ويل ! لقد كان أولى بك أن تعرفنى قبل هذا كله ، فكنت هونت على نفسك هذا كله ؟ ! قال : ومن تكون ؟ قلت أنا ـ كما تقول ـ الثقيل البغيض المتطفل الذى اجترأ على بيتك واستباح النظر إلى حرمك . لا : بل أنا الذى أعددت له السياط والمقارع ، وانتدبت لضربه الجلادين ، وأقسمت بكل محرجة ألا تتركه إلا لحما من غير دم ، وعظما من غير لحم ، ولو علمت الواقع لعلمت أنى أنا القادر الذى عفوت ، والقوى الذى سامحت ، وانى لا أستطيع أن آخذك بجرمك فأدفعك إلى الهلاك أنت وصاحبك دفعا . فشده الرجل بما سمع ، فقال : ولكن بربك ألا أخبرنى من أنت ؟ قلت . أنا صاحب خبر أمير المؤمنين وعينه والأمين على سره ، ووالله لولا تحرمى بطعامك ، وبمالحتى بحديثك ، وأنى أعرفك أنت وصاحبك على الأخلاص للخليفة والطاعة له ، لتركتكما فى عمى من أمرى حتى كنت تعرف عاقبة حالك ، وإقدامك على ما فيه هلاكك . فنهض إلى الرجلان يسكتانى فى استعطاف ، ويعتذران فى انكسار . وقال إسحاق : فديتك يا سيدى ! إنا لم تعرف حالك ، ولم نتبين أمرك ، فلنا العذر ، ونسألك الصفح ، ونضرع إليك فى كتمان ما كان ، وأنت بنا المحسن المجمل . فوعدتهما بالخير ، وقلت : لا يخون العهد إلا لئيم وحاشاى . وجاء وقت الانصراف فخلع على إسحاق ثيابا فاخرة ، وأمر لى بمركب نبيل ، ودفع إلى بصرة فيها ثلاثمائة دينار ، ونهض فى وداعى حتى مضيت .

فلما كان من الغد دخل على بن هشام على المامون فقال : كيف خبرك يا على فى أمس ؟ قالها على حسب ما يجرى فى السؤال وقد كانت عادته ، ولم يفطن لها على فتغير لونه ، واخذلت به رجلاه ، إذ لم يشك فى أن الحديث قد رفع إليه ، فأكب على البساط يقبله ويقول : يا أمير المؤمنين العفو ! يا أمير المؤمنين ! الصفح الجميل ! يا أمير المؤمنين الأمان ! فوالله لن تعود ، قال : لك الأمان ولكن بماذا جئت يا على ؟ فأخبره الخبر ، فضحك المامون حتى كاد أن يغشى عليه ، وقال : إنه « لثقيل ولكن ما أظرفه » ، وأرسل فى طلب إسحاق فلما حضر قال : هيه يا إسحاق ؟ كيف كان خبرك أمس ؟ فأخبره كخبر على بن هشام ، والمامون يضحك ويصفق من العجب ، ثم قال بحياتى ما فى الدنيا أملح من هذا ، فاطلب الرجل وجئنى به . واجتهد إسحاق فى ذلك حتى وجدنى ، فكنت على ماترى ياصاحبى فى المقدمين من ندماء المامون ، والأخيار من أصفيائه ، ولا تنس أن هذه قد حملت المأمون على أن يرد على الناس حريتهم ، فأباح لهم الغناء ، وتركهم يأخذون بأسباب الأنس والسرور

محمد فهمى عبد اللطيف



الجمعية الطبية ومشكلة تحديد النسل

عقدت الجمعية الطبية المصرية عدة اجتماعات لبحث مشكلة تحديد النسل . كان آخرها اجتماع يوم الثلاثاء الماضى (٤ مايو) ، وقد اهتمت الجمعية الطبية باثارة هذا الموضوع وبحثه مذ ظهر رأى شرعى لفضيلة مفتى الديار المصرية خلاصته أن تحديد النسل بالوسائل المشروعة جائز فى بعض الأحوال والظروف القاهرة ؛ ورأت الجمعية الطبية أن تأخذ البحث بيدها وأن تنيره لا من الوجهة الطبية فقط بل من جميع نواحيه الأخرى الاجتماعية والاقتصادية ؛ ولهذا الغرض عقدت أربع جلسات كبيرة ، ألقى فيها عدد كبير من الأطباء والمفكرين والاقتصاديين والاجتماعيين آراءهم ؛ وكان اتجاه هذه المباحث يرمى إلى وجه العموم إلى تبرير تحديد النسل نزولا على الضرورات الصحية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التى لا مفر من الخضوع لمقتضياتها . وقد ظهر من الاحصاء الأخير أن سكان مصر فى زيادة مضطردة مؤكدة وأنه إذا لم توفق البلاد إلى تنمية مواردها الزراعية والانتاجية بسرعة توسيعاً يتفق مع نمو السكان ، فان مصر ستواجه فى المستقبل القريب مشكلة اقتصادية واجتماعية خطيرة ؛ ومن جهة أخرى فان مقتضيات الحياة العائلية توجب أحياناً أن يقف انتاج النسل عند حدود معينة ، وإلا كان مستقبل العائلة مهدداً بالأزمات الاجتماعية هذا ؛ إلى مقتضيات العوامل الصحية ، وظروف الحياة الجديدة التى تجعل من المرأة أكثر من آلة للانتاج البشرى . هذه خلاصة الآراء والنظريات التى عرضت وشرحت فى الجلسات المذكورة ؛ وستعنى الجمعية الطبية بجمع كل ما قيل وكتب عن هذا الموضوع الخطير ونشره فى كتاب خاص وهى عناية تشكر عليها

جائزة مختار

كانت لجنة جائزة المرحوم مختار مثال مصر الكبير قد جعلت موضوع جائزتها هذا العام « الفلاحة » فتقدم إلى المباراة أكثر من عشرين مثالا من الفنانين الشبان ، وقدموا تماثيلهم إلى اللجنة ، وكلها تعبر عن الفلاحة المصرية بأشكال ومواقف مختلفة . وقد اجتمعت اللجنة أخيراً فى قاعة جمعية المهندسين الملكية برآسة معالى محرم باشا وزير الأشغال وحضور السيدة هدى هانم شعراوى رئيسة اللجنة الفخرية والعاملة الحقيقية لتأسيسها ؛ واستعرضت اللجنة التماثيل المقدمة وانتهت إلى منح الجائزة الأولى وقدرها ١٥ جنيهاً إلى المثال فتحى محمد على ، والجائزة الثانية وقدرها ١٠ جنيهات إلى المثال أحمد محمد صدقى افندى ، ومنحت ثلاث جوائز صغيرة أخرى إلى ثلاثة من المتقدمين . وفى بقاء هذه اللجنة وقيامها بمهمتها النبيلة إلى اليوم وهى العمل على إحياء ذكرى مثال مصر الكبير مختار وتشجيع الفن الذى نبغ فيه ، وتعهد الغرس الذى غرسه ما يبعث على الغبطة ، ويحمل على الثناء والتقدير لعواطف الوفاء التى أحاطت اللجنة بها ذكرى المثال الراحل

ذكرى تيودور بلهارس

سبق أن أشرنا إلى ما اعتزمته الجمعية الطبية المصرية من تكريم ذكرى العلامة الألمانى تيودور بلهارس ، مكتشف ميكروب البلهارسيا لمناسبة مرور خمسة وسبعين عاما على وفاته ؛ وذلك فى التاسع من الشهر الجارى . ونذكر الآن بهذه المناسبة كلمة عن حياة هذا العلامة الراحل ؛ فقد ولد فى سنة ١٨٢٥ فى سجمارنجن (بألمانيا) ودرس الطب فى فريبورج وتبنجن - وعين فى سنة ١٨٤٩ أستاذاً بجامعة

فريبورج . وفى العام التالى قدم بلهارس إلى مصر برفقة أستاذه الدكتور جريزنجر الذى انتدب طبيبا لوالى مصر ، وعهد إليه بوضع نظام طبى لمصر . وفى سنة ١٨٥٢ استقال جريزنجر من منصبه وخلفه بلهارس كرئيس للقسم الطبى بالداخلية . وفى سنة ١٨٥٥ انتدب أستاذاً بمدرسة الطب ، وبعدئذ بعام تولى كرسى التشريح بالمدرسة . وفى أثناء ذلك عكف بلهارس على درس جراثيم الأمراض المتوطنة ، ووفق فى سنة ١٨٥٦ الى اكتشاف مكروب المرض الذريع الذى يفتك بملايين المصريين وسمى « البلهارسيا » وبعد ذلك بثلاثة أعوام نشر بلهارس رسالة عن مسألة الأوبئة بمصر . وكان بلهارس أثناء ذلك يعانى من جراء الطقس وشدة الحرارة . وفى أوائل مايو سنة ١٨٦٢ أصابته نزلة معوية قوية ، فتوفى فى التاسع من هذا الشهر ودفن بمصر القديمة بمقبرة الآباء الفرنسيسكان ، وفى سنة ١٩٣٠ عثر الدكتور كايمر على قبره بعد أن اختفى زمنا ، وتعاون مع بعض زملائه ولاسيما الدكتور مكس مايرهوف على نقل رفاته وإيداعها كنيسة المقبرة

المبرد أيضاً (١)

منقول الأستاذ (المرصفى) هو رواية ياقوت فى كتابه (ارشاد الأريب) وقد أشرت إلى ذلك . وأضيف إلى تحقيق ابن خلكان ، وحكاية (برد الخيار) - وقد رواها كثيرون منهم القيروانى فى كتابه (جمع الجواهر فى الملح والنوادر) - هاتين الروايتين :

قال ابن عبد ربه فى كتابه (العقد (٢))

سوء الاختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار؛ ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوى — على علمه باللغة ومعرفته باللسان — وضع كتابا سماه بـ (الروضة) وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يختر لكل شاعر إلا أبرد ماوجد له (٣) ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم (المبرد) إلا لبرده ، وقد تخير لأبى العتاهية أشعارا تقتل من بردها ،

وفى (تاريخ بغداد) لابن الخطيب :

قال أبو الفضل بن طومار : كنت عند محمد بن نصر بن بسام فدخل عليه حاجبه فأعطاه رقعة وثلاثة دفاتر كباراً ، فقرأ الرقعة فاذا المبرد قد أهدى إليه كتاب (الروضة) وكان ابنه علىّ حاضراً فرمى بالجزء الأول إليه ، وقال له : انظر يابنى ، هذه أهداها إلينا أبو العباس المبرد ، فاخذ ينظر فيه ، وكان بين يديه دواة ، فأخذها علىّ ووقع على ظهر الجزء شيئاً وتركه وقام . فلما انصرف ، قال أبو جعفر (محمد بن نصر) أرونى أى شىء قد وقع هذا المشئوم ! فاذا هو :

لو برا الله المبرّدْ من جحيم يتوقّدْ
كان فى (الروضة) حقاً من جميع الناس أبردْ

وعصر ابن عبد ربه وعصر ابن الخطيب هما أقرب إلى زمن المبرد من وقت ياقوت . وذلك اللقب المشهور هو الذى جلب فى قولى ابن عبد ربه وعلىّ تلك الدعابة .

وأن هذا الامام العظيم لخليق بأن يشغلنى ويشغل حضرة الأديب (محمد فهمي عبد اللطيف) . وصاحبُ (الكامل والاقتضاب (١)) وغيرهما جدير بأن يذكر - فى كل وقت - بخير أو شر . . .

(أحد القراء)

وفاة الأب لامنس

توفى أخيراً المستشرق البلجيكى الأب هنرى لامنس ، وكان هذا الحبر العلامة من خيرة المستشرقين الذين انقطعوا لدراسة العصر الأموى ، وله فيه عدة مؤلفات قيمة . كان مولده فى البلجيك سنة ١٨٦٢ ، وقد نزح منذ حداثته إلى لبنان واعتنق الرهبنة وانتظم فى سلك الآباء اليسوعيين ودرس العربية وعلومها دراسة مستفيضة

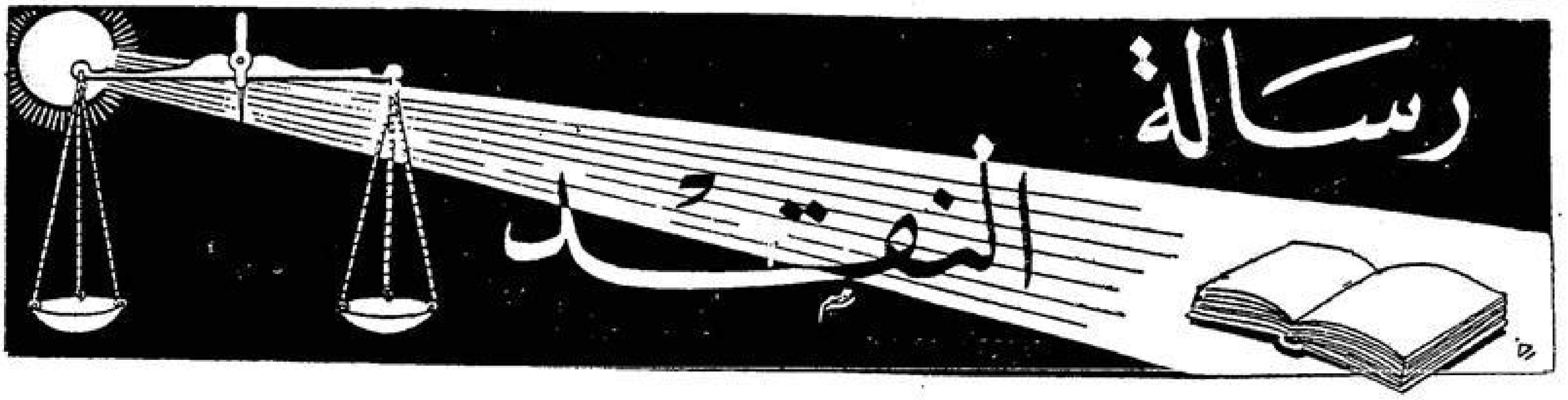
ولعلنا نوفق فى عدد تال إلى الافاضة فى تاريخ حياته ووصف مؤلفاته

(١) راجع الجزء السابق ، الصفحة ٧٥٧ .

(٢) اسمه (العقد) فقط والعقد الفريد للملك السعيد ، وعقد ابن عبد ربه تذوب أمامه العقود .

(٣) فى (كامله) نثر باهر وطائفة من شعر جيد .

(١) قال الزمخشرى فى الاقتضاب : يا له من كتاب بعد (الكتاب)



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضى بيير كربتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

للأستاذ الغنيمى

— ٤ —

نحب أن نبدأ هذه الكلمة بالاشارة إلى غلطة هامة من أغلاط الفصل الثالث وهى قول الأستاذ صروف إن اسماعيل كان « يستقبل ولديه وأحدهما الآن رئيس المجلس الخاص والآخر وزير المالية والحربية والأشغال العمومية ، وبذلك جعل لاسماعيل ولدين وهو غير صحيح، وجعل واحداً منهما رئيس المجلس المخصوص، وجعل الثانى وزيراً للمالية والحربية والأشغال العمومية مجتمعة ، فهل تأكد الأستاذ صروف حين كتب ذلك أن وزارات المالية والحربية والأشغال كانت كلها مجتمعة لوزير واحد من أبناء اسماعيل ؟ اذا كان البحث قد دله على ذلك فاراد أن يصحح قول المؤلف فلماذا لم يشر إلى ذلك صراحة واذا لم يكن فلماذا غير قول المؤلف

Receives his sons, who are now respectively President of the Privy Council and Ministers of Finance, War and Public Words.

ولو كانت وزارات المالية والحربية والأشغال العمومية اجتمعت كلها لوزير واحد من أبناء اسماعيل لما قال المؤلف Ministers بصيغة الجمع ولعله ظن أن لفظ respectively لا يستعمل إلا للاشارة إلى اثنين ونحن نقول إنه يستعمل للاشارة للجمع كما يستعمل للاشارة إلى المثنى .

ننتقل بعد ذلك للفصل الرابع فنقول ان حظه من الحذف والتغيير كحظ الفصول الثلاثة السابقة . ولقد أحصينا فيه أكثر من خمسين غلطة مختلفة الأنواع نكتفى بذكر أمثلة منها :

(١) قال المؤلف يصف موقف وزارة الخارجية البريطانية من مشروع قناة السويس :

Inspired by this motive, but perfectly loyal to Ismail as the move fitted in with their common tactics of the movement, Downiog Street brought pressure to bear on the Sublime Porte.

لم يترجم الاستاذ صروف هذه العبارة كلها إلا بقوله : « وعليه شرعت وزارة الخارجية البريطانية فى تحريض الباب العالى واستفزاز همته » ، وأين هذا من قول المؤلف « وكذلك أخذت دوننج استريت تضغط على الباب العالى مدفوعة إلى ذلك بهذا الباعث الذى ذكرناه وإن كانت فى الوقت نفسه قد بقيت مخلصة كل الاخلاص لاسماعيل لأن العمل الذى قامت به يتفق مع خططهما المشتركة

(٢) وقال المؤلف عن فرديناند دلسبس :

His love for France does him credit. He also had a second fatherland.

ولكن الاستاذ صروف أغفل الجملتين وأولاهما على الأقل ذات معنى جديد لم يشر إليه من قبل وهو ان حبه فرنسا مما يشرفه ويعلى من قدره .

(٣) وقال المؤلف يصف الوزير المصرى نوبار باشا :

The Egyptain Minister was not a man who could be brushed aside with impunity, he launched a counter offensive.

فقال الاستاذ صروف مترجماً هذه العبارة « على أن نوبار باشا لم يكن ممن يسهل إهانتهم وعدم الاعتداد بهم » وبذلك أضاف من عنده لفظ الاهانة وهو عمل لا يليق وحذف فى نظير اضافتها الجملة الثانية كأن المترجم يجوز له اذا أضاف من عنده عبارة أن يحذف فى نظير ذلك عبارة أخرى . ومعنى العبارة الانجليزية : « أن الوزير المصرى لم يكن ممن يسهل إغفالهم (أو الاستهانة بأمرهم اذا شاء) من غير أن يقابلوا هذا العمل بمثله فلم يسعه إلا أن يهاجم خصومه كما هاجموه » .

(٤) وقال المؤلف :

Living up to the principle outlined in this question Sir Henry Bulwer...

فترجم الاستاذ صروف هذا كله بقوله « وعليه »

(٥) وقال المؤلف يصف مالقيه اسماعيل من الصعاب فى موقفه بين فرنسا وانجلترا :

The Viceroy had to steer between the Scylla of France fighting for a concession which was far too friendly to de Lesseps to be equitable to Egypt...

فترجم الاستاذ صروف ذلك بقوله « وكان سمو الخديو ... مضطرا إلى السير بحكمة بين رغبات فرنسا التى كانت تدافع عن امتياز دلسبس » نحن لا نحتم على الأستاذ أن يترجم إلى قراء العربية Seylla ، charybdis ولا نحتم عليه أن يشير اليهما إشارة بسيطة فى هامش الكتاب ، ولو فعل لجمل بذلك ترجمته لأن القصص اليونانى القديم أصبح قصصاً عالميا ولا مانع من أن يشار اليه فى الكتب العربية ، ولكننا كنا ننتظر منه أن يترجم العبارة الأخيرة التى وصف بها المؤلف الامتياز . ولو قال «وكان على الوالى أن يتبين طريقه بين ثلاث قوى شديدة الخطر أولها فرنسا التى كانت تناضل عن امتياز أسس على الصداقة القوية بين سعيد ودلسبس فكان لذلك مجحفا بحق مصر ... الخ

But this 15 per cent share in the profits of the waterway meant hard cash to Ismail.

لم ير الأستاذ صروف فى هذه العبارة ما يستحق الترجمة وإلا فلماذا أغفلها ؟

(٧) وقال المؤلف مشيرا إلى بيع حصة مصر فى أرباح القناة

It was M. de Blignière and Major Baring not the sovereign who had been deposed who were at the helm when this priceless possession was disposed of and a condition created by which to quote Lord Milner Egypt has no onger any share whatever in the vast profits of that undertaking.

قيل فى ترجمة هذه العبارة من أولها إلى آخرها « وكان المسيو بلنيير والماجور بارنج هما الموكول اليهما تصريف الامور فى مصر عندما بيعت حصة مصر » فهل هذا هو كل ما قاله المؤلف ، أو أن الباقى لايستحق أن يترجم ؟

(٨) ومن العبارات التى اقتضبت أو لخصت بعض معانيها كل الفقرة الواردة فى ص ٦١ من كتاب الاستاذ صروف وفى ص ٥٩ من الأصل الانجليزى . وقد تركت من هذا التلخيص عدة معان . ولما كان ايراد الأصل والترجمة يشغل نحو صحيفة من صحف الرسالة فانا نكتفى بالاشارة إليها ليرجع اليها القارىء إن شاء

(٩) ثم نرجو أن ينظر القارىء معنا إلى العبارة الانجليزية الآتية وإلى ترجمة الأستاذ صروف ليرى الفرق بين المعنيين قال المؤلف

Had his attention been directed to it, he would not have broadcast the accusation that, when Ismail had abdicated, Egypt had longer any share of the vast profits of the Suez Canal - He would, it may be assumed, have devoted his literary talents and his powers of concentration to attempt to demonstrate that . . .

وقال الأستاذ صروف فى ترجمتها « ولو أدركها يومئذ ما اتهم اسماعيل بأنه لم يترك لمصر عند تنزله عن العرش أية حصة من من أرباح ترعة السويس . والشيء الوحيد الذى كان يحق لملنر أن يفعله هو ان يقف بيانه وعارضته على أن ... » أن الجملة الأخيرة فى هذه العبارة وهى قول الأستاذ صروف « والشيء الوحيد الذى كان يحق لملنر أن يفعله » بعيدة كل البعد عن الأصل الانجليزى الذى معناه « ونظن أنه لو وجه نظره إلى ذلك لوقف بيانه وعارضته على إثبات أن ... » ويظهر أن الأستاذ صروف قد فاته أن هذه الجملة هى جواب ثان للشرط الوارد فى أول الجملة الأولى وهى ولو نبه اللورد ملنر إلى ذلك أو ولو أدركها كما يقول المترجم . فليس هناك إذن شيء يحق لملنر أن يفعله .

(١٠) وهذه الغلطة نفسها أى عدم انتباه الأستاذ صروف إلى وجود جواب شرط ثالث جعله يقطع الجملة الآتية من سابقاتها ويغير معناها تغييراً كليا قال « على أن الهفوة التى ارتكبتها تلك اللجنة فى مارس سنة ١٨٨٠ كانت عظيمة جدا إلى حد أنها لم تجد مناصاً من إلقاء اللوم على الخديو المعزول » مع أن معنى هذه العبارة الحقيقى : « ولو وجه نظره إلى ذلك لحاول من غير شك محاولة جدية أن يلقى اللوم على الأمير المنفى لأن الغلطة التى ارتكبت فى مارس سنة ١٨٨٠ كانت غلطة شنيعة » ولذلك قلنا فى مقالنا الأول إن إدراك العلاقة القائمة بين الجمل الانجليزية شرط أساسى للترجمة الصحيحة .

(١١) وإلى القارىء مثال صغير من عدم التدقيق . قال المؤلف على لسان اسماعيل

These holdings cannot bring me any revenue.

فأضاف الأستاذ لفظ والأرجح فى ترجمته لهذه العبارة مع أن المؤلف يقول « إن هذه الأسهم لن تدر على أى ربح » بصيغة التأكيد . إن لفظا واحداً يزيد أو ينقص يكفى فى بعض الأحيان لتغيير المعنى .

(١٢) قال المؤلف ينتقد عمل المراقبة الثنائية

A group of French capitalists should not have been handed, upon a gold platter the « winners ticket » bequeathed to Egypt by Ismail.

فلم ير الأستاذ فى هذا المعنى شيئاً يصح أن يترجم

(١٣) قال الأستاذ فى ص ٦٥ من الترجمة « وعند ما أرغم ذلك العاهل على التنزل عن عرشه فى سنة ١٨٧٩ كان الماجور بارنج هو المراقب البريطانى العام وصاحب السلطة المطلقة فى لجنة المراقبة الثنائية . »

وكلمة كان فى هذه الجملة كلمة مشئومة أفسدت المعنى لأن تارنج لم يكن مراقبا عاما وقت خلع إسماعيل والمؤلف يقول :

And when that . . . Oriental had to submit to an enforced abdication in 1879 it was Major Baring who became the British Controller Geneneral etc.

ولقد كان عدم الدقة فى ترجمة كلمه became هو السبب فى هذا الخطأ التاريخى !

(١٤) قال المؤلف تعليقا على التهم التى وجهها ملنر إلى اسماعيل باشا

This indictment brushes aside finance and presents a moral issue.

فترجم الأستاذ صروف ذلك بقوله :

فهذا القول يدل على أن للمسألة وجهة أدبية . والمعنى الحقيقى لهذه العبارة هو أن هذا الاتهام يطرح الأمور المالية جانباً ويضع أمامنا مسألة أخلاقية »

(١٥) يشير المؤلف فى ص ٦٥ من الأصل الانجليزى إلى إلى ما استخلصه اسماعيل من شركة القناة وما أنفق من مال للدفاع عن الفلاح ويقول أنه لو وجد ناقد لكتابات لورد ملنر لتجلت للناس حقيقة هذا العمل المجيد .

ولو وجد هـذا الناقد أيضا للفت نظر الناس إلى أن استرداد ستين الف هكتار من أرض مصر الزراعية من براثن شركة القناة لم يكن من الأعمال المزرية . . . الخ » ، ولكن الأستاذ صروف قد فاتته هنا أيضاً ارتباط الجمل بعضها ببعض وإن الجملة السابقة هى أيضاً جواب شرط ثان للجملة التى قبلها فى آخر الفقرة السابقة

فقال فى ترجمتها « وكان يجدر باللورد ملنر أن يذكر حسنة أخرى من حسنات إسماعيل وهى استنقاذه ستين الف هكتار من الأراضى الزراعية من بين مخالب الشركة وهى محمدة لا يجوز إغفالها » والفرق شاسع بين ما قاله المؤلف وما قاله الاستاذ صروف لأن المؤلف يقول :

The same spokesman would also have called attentim to the fact that the redemption was no mean accomplishment.

نقول مرة أخرى أن إدراك العلاقة بين الجمل شرط أساسى للترجمة الصحيحة.

(١٥) 16, ooo, ooo francs were charged up against Ismail, but 10, ooo, ooo represealed the work already done.

هذه المسألة الحسابية لم يعن الاستاذ بترجمتها

(١٦) وإلى القارىء مثل من الاضطراب فى العبارة يحار بسببه القارىء فى فهم المعنى . قال الأستاذ صروف »

« فاذا نظرنا إلى ذلك الامتياز باعتبار الأراضى الخصبة الآهلة بالسكان التى نشأت على ضفافها وباعتبار أنها تقوم بحاجات المدن ومقتضيات الرى كانت قيمتها أعظم مما قدرت به يومئذ بحيث إذا أردنا أن نحكم على إسماعيل من وجهة علاقته بشركة السويس حكماً منصفاً لم يكن لنا بد من تقدير هذه القيمة . على أن محاسبتنا لاسماعيل فى هذا المقام هى من الوجه الأدنى ، وعليه فيكاد يكون من المتعذر تقدير الخدمة التى أسداها ذلك العاهل إلى بلاده .

أيدرى القارىء حقيقة ما يريد أن يقوله المؤلف . انه يريد أن يقول : « وهذا الامتياز وهو حق الشركة فى أن تورد الماء إلى مجتمع غنى كبير العدد مطرد النماء ليستخدمه فى حاجات المدن وفى شؤون الرى ، هذا الامتياز يساوى الآن أضعاف المبلغ الذى قوم به . ولوكنا نريد أن نضع أمام القارىء الحساب الختامى لعلاقة اسماعيل المالية بقناة السويس لوجب علينا أن نضع بدل هذا القدر المجهول رقما حقيقياً معلوما . لكن بحثنا الآن مقصور على تلك الآثار التى لا ندركها الحواس والتى تسمى بالعوامل الأخلاقية ، فاذا نظرنا الى المسألة من هذه الوجهة كان من المستحيل أن نغلو فى تقدير فضل إسماعيل فى الاحتفاظ بهذا المرفق العام الخطير خالصاً لمصر » .

ونكتفى بهذا عن ذكر العبارة الانجليزية لأنها طويلة تشغل كثيرا من فراغ هذه الصفحات القليلة التى تسمح لنا بها هذه المجلة . ونحن نؤكد للقراء أن هذه الترجمة الأخيرة تكاد تكون ترجمة حرفية للأصل الانجليزى .

(١٦) قال المؤلف عن النزاع القائم فى الولايات المتحدة بين مصلحة الأمة والمصالح المكتسبة لشركات الاحتكار

The fight is one of the general welfare against vested rights.

فترجم الأستاذ صروف ذلك بقوله « فالكفاح ضدها هو كفاح فى سبيل الخير العام » والمؤلف يقول : أن « الكفاح القائم هناك كفاح بين الصالح العام والحقوق المكتسبة »

نكتفى اليوم بهذا القدر لنبدأ بذكر أغلاط الفصل الخامس فى العدد القادم إن شاء الله

« الغنيمى »